لقاؤنا في الجنة

لقاؤنا في الجنة...

بقلم /هديل يوسف الأسطل.

الإهداء

* إلى القدس والأقصى والقسام.

* إلى من حملتني في بطنها تسعة أشهر،إلى منبع الحنان إليك "يا أمي الغالية".

* إلى من علمني أن الحياة لا تكون إلا بالحب المفعم بالوفاء والحنان إليك يا " أبي الغالي".

* إلى من عشت معهم أغلى وأحلى وأحن أيامي " أخواتي وإخواني وزوجة أخي ".

* إلى أعمامي الذين طابت معهم الحياة وخاصة عمي الغالي "علي وزوجته".

* إلى رفيقات دربي وخاصة أختي التي لم تلدها أمي والتي كان لها فضل كبير بعد الله في إتمام روايتي " أماني حفص".

* إلى من جادت عليّ برواياتها عندما بدأت أهتم بالقراءة إليك يا صديقتي الغالية " هبة محمود ".

هديل...

في إحدى المنتزهات الغزاوية العامة:

(مصطفى)

كنتُ جالساً على إحدى الكراسي الخشبية، الطقس من حولي ربيعياً معتدلاً، والشمس مشرقة دافئة، السماء مبتسمة صافية، الأرض خجولة مشرقة، الفراشات الملونة تحلق بين زهرة وأخرى وهي تتراقص فرحة بروعته.

أخذتُ أوزع النظرات في المكان بأكمله، تارة على الأولاد الذين يلعبون ويمرحون، وتارة أخرى على جمال الطبيعة، وتارة أبقى شارد الذهن أتأمل وأتدبر في تنظيم الكون فأحدثُ نفسي قائلاً: سبحان الله الخالق القدير خلق الكون في هذا النظام الدقيق المحكم ومع ذلك نكفر به ونعصيه ؟؟!!

فسالت دمعة حارة حارقة تبعها سيل من الدموع عندها وجدتُ لساني يردد تلقائياً قوله تعالى "لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون " الأنبياء (٢٢)

أفقتُ من شرودي ومن بين دموعي على صوت ابنتي الصغيرة التي لم يتجاوز عمرها الخمس سنوات وهي تصرخ وتقول: بابا يا بابا، فأخذتُ أزيل ما بقي من أثار الدموع، ووجهتُ نظري نحوها فوجدتها تحدق بعينين يملؤهما الحزن والتعنيف معاً، وعندما لم أجبها صمتت حائرة لأنها شعرت بأن روحاً تناجي روحها.

ساد الصمت برهة من الزمن فقطعت ذلك الصمت قائلاً:

- ماذا تردين يا حبيبة قلب بابا؟
- بابا أريدك أن تأتي معي عند الارجوحة.

فنظرتُ لها نظرة استنكار، ففهمت طفلتي ما يدور في ذهني فأردفت على الفور مكملة لحديثها برجاء:

- بابا يلا تعال مرجحني مثلي مثل باقي الأطفال ولا عايز بنتك تزعل؟

فتبسمتُ في وجهها، و أمسكتُ يدها بعطف وقلت:

-لا، إلا حبيبة بابا يلا بينا.

نهضتُ من مكان جلوسي شابكاً أصابعي بأصابع ابنتي متوجهاً الى مكان الأرجوحة.

وأخيراً وصلنا الى مكان الارجوحة، فحملتُ صغيرتي المدللة وأجلستها على المرجيحة، و بدأتُ أمرجحها وهي تضحك بصوت مرتفع، وعيناها الصغيرتان لم تكادا تظهران من شدة الضحك، و شعرها الأسود القصير اللامع بدأ يتطاير بالهواء.

وبعد فترة ليست بالقصيرة قررنا العودة الى المنزل، ونحن في طريقنا للخروج من بوابة المنتزه، شاهدتُ شيء غريب شد انتباهي فجذبتُ مدللتي من يدها واختبأنا في زاوية بعيدة عن الأنظار.

وقفتُ مسنداً رأسي على الحائط وأخذتُ أختلس النظرات ومع بدأي لاستراق النظر بدأت التساؤلات تهاجم عقلي مثلما يهاجم المرض جسم الكائن الحي، فهل يا ترى لماذا هذا الطفل شارد الذهن ويبكي ؟؟ لماذا هو وحيد ؟؟ أين عائلته ؟؟

أخذتُ أحاور نفسي وأقول هل الأطفال في ذلك السن يكونون مهمومين؟ لا بالطبع بل يريدون أن يلهوا ويلعبوا فقط، فهذا الطفل غريب عنده الألعاب، لكن لماذا؟ لماذا؟

أسئلة كثيرة خطرت على بالي لكنني لم أجد لها أي إجابات، فوددتُ أن أتقدم منه وأعرف ما الذي يشغل فكره وما بال هذه الدموع المنهمرة وأردتُ أن أريح عقلي من هذه الهجمات.

كنا نتقدم وكلما تقدمنا أكثر أرى جمالاً لم أره أبداً في حياتي ربما وجهه مثل وجه الملاك فهو يتسم بوجه لونه من الألوان الجميلة النادرة لأن بياضه كبياض الثلج، يتحلا بعينين واسعتين وبارزتين وسوداويتين تزينهما الدموع، وأنف جميل حاد، وشعر مصفف بطريقة عشوائية.

أما ما كان يلبس فقد كان يرتدي قميص ناصع البياض، وبنطال شديد السواد، هذا ما استطعت رؤيته فقط لكنه حقاً يبدو أنيقاً وسيماً.

تقدمنا أكثر وذان الخوف والقلق يذبان في قلبي، وأنا أشعر بأنهما ييخاطبانني، هل يا ترى سيوافق على محادثتي؟، هل يا ترى أستطيع معرفة ما الذي يؤلمه ؟، و إذا عرفت هل أستطيع تصبيره ومساعدته؟

شعرت بأنهما إنسانان يريدان إحباطي فقلت بعصبية :كفى، كفى سأفعل كل ما بوسعي من أجله.

وصلنا أخيراً إلى حيث يجلس فقد كان شارد الذهن، الجو من حوله صمت في صمت يتخلله شهقاته وعلى خديه الحمراويتين بقايا الدموع، فأحسست بغصة في قلبي لأنني متيقن أن بكاء الأطفال أشد إيلاماً من دموع الرجال لكنني تمالكت نفسي واستجمعت كلماتي، مقرراً ابتدائها برد السلام فقلت :

-السلام عليكم يا أخي.

(مؤمن)

بتصرف لا إرادي مسحتُ دموعي وأخذتُ أنظر إلى مصدر الصوت، لقد كان صوته أصلب من بنيته لكن فيه سمحة من حنان كأم تدعو لولدٍ مريض ومسحة من خشوع لكأنه أذان الفجر.

وقفتُ مسمدا مدهوشاً يكبلني رهبة وفضول في معرفة ما الذي جاء به إلى هنا فلقد كان شاباً على ما يبدو أنه في أواخر العقد الثاني من عمره، يرتدي باكستاني بني اللون مثيل للشكولاتة، ومما يزيد جمال الباكستاني عليه أنه طويل القامة، متوسط الحجم ليس ببدين ولا بهزيل، يتسم بعينين سوداويتين متوسطتين ليست بالضيقة ولا بالواسعة، بأنفه المتوسط، وشعره المصفف بطريقة عجيبة غريبة، ولحية تطوق وجهه القمحي "بين البشرة البيضاء والبشرة السوداء" فتخفي بعض علامات جماله.

وسريعاً ما تحولت عيناي إلى ذلك الطفلة الصغيرة الواقفة بجانب ذلك الشاب فقد كانت طويلة القامة، نحيلة الجسم ،تتميز بأنف صغير، وشعر أسود قصير ناعم لامع، تتسم بعينين ضيقتين سوداويتين، وسريعاً عند رؤيتي للون عينيها اكتشفت أنها ابنة ذلك الشاب الذي ظهر أمامي فجاءة.

أخذتُ ألملم كلماتي المبعثرة تماماً مثلما يُلملمُ أشلاء الشهيد والجريح وقلت بضيق :

- وعليكم السلام.
- كيف حالك يا حبيبي؟
- حبيبي؟ ما هذه السخافة؟ وكأنك تعرفني، ماذا تريد ؟ وما الذي جاء بك إلى هنا ؟
- اهدأ يا اخ...

وقبل أن أكمل حديثي قاطعني قائلاً بصرامة:

- كيف أهدأ وأنا لا أعرف من أنت ولا هذه القردة المرتدية الفستان القصير.
- يا عزيزي أنا الشيخ مصطفى وهذه ابنتي الوحيدة رزان.

(نبض)

كدت أختنق غيظاً وأنا أدور في البيت قلقلة على زوجي وابنتي فعادتهما أن لا يتأخران إلى ذلك الوقت، ماذا حدث يا تُرى؟ هل أصابهما مكروه؟

وعندما لم أعرف ماذا سأفعل ضربت السرير بكلتا يداي وجلست أتوعد وأفكر ماذا سأفعل به.

قفزتُ من على السرير نحو باب المنزل مسرعة فلقد كان الطرق على باب منزلي كثيفاً لدرجة لو أن الباب كان إنساناً لصرخ مستنجداً طالباً للرحمة.

سرتُ على غير هذي وقلبي يخفق بشدة حتى وصلتُ أخيراً وفتحتُ الباب ويداي ترتجفان فإذا بي أرى مفاجأة لم أكن أتوقعها أبداً.

لقد ظننتُ أن من يقف خلف الباب زوجي مصطفى وابنتي رزان لقد أخطأ ظني هذه المرة.

(مصطفى)

صدمتُ من ردة فعل الطفل ومن ازدياد بكائه فاحترتُ ماذا سأفعل معه فأردتُ تصبيره فاخترتُ أنشودة الصبر نور ويقين نعم هي تلك الأنشودة التي استمعتُ لها طالما كنت مهموم او مكدور و بدأت بإنشادها له

الصبر نور ويقين

لله درُ الصابرين

اعمل أُخي ولا تهن

أبداً وعزمك لا يلين

قدرٌ من الله مضى

فابسم إذا حل القضاء

لا لن يضيق بك القضاء

فالله مولاك المعين.

(مؤمن):-

أحسستُ أن كلمات الأنشودة تنزل كالسواط على قلبي قبل أذني فأنا فعلاً محتاج إلى كثير من الصبر فنهضتُ بسرعة وعيناي ممتلئتان بالدموع وضممته إلى صدري فأحسستُ بدفْء صدره وكأنه صدر أمي الحنونة، آه

يا أمي أين أنتِ الآن؟ ، آه ألا ترين حال ابنكِ؟ ألا تشفقين ؟ عودي إلي يا أمي فأنا محتاج إليكِ كثيراً، أنا لا أستطيع العيش بدونكِ.

أخذت استرجع قسمات وجه أمي الغالية وكلمتها التي لا تزال معلقة في ذهني "الصبر مفتاح الفرج".

كانت دائماً ترددها لي عندما يضيق صدري فأشعر بأن الكون كله معي فأثبت وأتجاوز محنتي.

لم أشعر إلا وبيد الشيخ التي هوت على كتفي وهو يقول: أين سرحت يا بني؟ فاحترت هل أفرح أم أبكي؟ هل أفرح على اهتمامه بي الذي قلما وجدته من أحد غيره وعلى كلمة بني التي فقدتها من حبيبتي منذ زمن أم أبكي على قدري وذكرياتي الحزينة؟

فابتسمت ابتسامة حزينة وأردت أن أرد عليه لكن سرعان ما تحولت كلماتي إلى بحر من الدموع لم أستطع إيقافها.

🤍 🤍 🤍

(نبض):-

صرختُ من هول الصدمة صرخةً دوت أنحاء المنزل، شعرت بعدها أنني لا أستطيع الكلام، فقلت بصوت متلعثم كالأطفال:

-ع ع عمت...

فقاطعتني قائلة:

-نبض.

وجريت نحوها وقمت بعناقها فترة ليست بالقليلة ودموع الفرح على محياي ومن ثم بدأت أوجه لها الأسئلة.

-عمتي متى أتيتِ؟، لماذا لم تخبرينا بقدومك؟، اشتقت لكِ، كيف كان العيش في تركيا؟ العيش في فلسطين أبهى وأجمل أليس كذلك؟

أووه لقد تذكرت عمتي ابنكِ مصطفى لا يرد على اتصالاتي فعادته في هذا الوقت أن يكون في البيت، أنا قلقة.

قالت عمتي وهي تضحك:

-بالراحة علي يا حبيبتي الظاهر أنك مشتاقة إلي كثيراً وأنا مشتاقة إليكم أكثر. طمني قلبك ببساطة لأنني لم أرغب بإتعابكما يا أحبائي، أما بالنسبة للعيش ففي فلسطين أجمل وأحلى بالتأكيد.

-أسعدكِ الله يا مهجتي لكن وماذا عن مصطفى أنا خائفة....

-استهدي بالله يا بنتي، بالتأكيد مشغول بشيء ما لذلك لا يرد على الهاتف المحمول.

صمتت عمتي فأخذتُ أدقق في نظراتها فإذا بي أرى في عينيها كلمات لم أستطيع فهمها مثل كل مرة.

وبعد فترة قالت عمتي :

-ابنتي أخي علي سيأتي بعد قلي...

فلم تكمل عمتي جملتها إلا وسمعت الطرق على باب المنزل فارتديت حجابي وذهبت فإذا به فعلا أخ عمتي، فرحبتُ به وأدخلته إلى غرفة الجلوس عند عمتي حبيبة.

توجهت إلى المطبخ وقمت بتحضير العصير المثلج، ثم أخذته وتوجهتُ إلى حيث يجلسان.

(مصطفى)

أخذتُ أمسح دموع الطفل وبدأتُ أذكر له آيات قرآنية وكان من اكثر الآيات التي تأثر بها قوله تعالى "و اصبر وما صبرك إلا بالله" النحل (٢٧)

وقوله تعالى "وبشر الصابرين" البقرة (١٥٥).

فقال الطفل بيأس:

-يا رب تحملتُ كثيراً من الصعاب والهموم، يا رب أنا سأركب في سفينة عبادك الصابرين فارزقني بشارات الخير عاجلاً غير آجلاً يا رب.

-إن شاء الله سيكون معك الله ما دمت أنت معاه.

-عمو مصطفى اعتبرني مثل ابنك بعد الآن فأنا أحببتك كثيراً.

-من عيوني يا بني، ولكنني لم أعرف اسمك حتى هذه اللحظة.

-أنا اسمي مؤمن.

-جعلني الله وإياك من عباده المؤمنين.

ثم تابعت قائلاً:

- أنا سأغادر حالاً وسآخذك إلى بيتي لأريك إياه، فإن احتجتَ إلى أي شيء فلا تتردد في المجيء، اتفقنا.
- اتفقنا.

(نبض)

دخلتُ الغرفة وعلامات الحزن بادية على وجهيهما ومن ثم قالت عمتي باللغة التركية ونبرة الخوف بادية على قسمات وجهها.

(ملاحظة: الحوار تركي ومترجم إلى عربي).

.Türkçede diyalogu not edin ve Arapçaya çevirin

عمتي حبيبيه:

Doktorların kocam Mahmoud hakkında ne söylediklerini - söyle?

(طمني ماذا قال الأطباء عن زوجي محمود؟)

فشهقت من هول الصدمة و قلت:

؟ne? Mahmoud Amcam hastanede mi? Nasıl? niye ya-

(ماذا؟ عمي محمود في المشفى، كيف؟ و لم؟)

فقال خال زوجي علي:

Kocamın amcası zamanında değil, iki gün sonra beni "- anlayacaksın, ama her şeyin Tanrı'nın yargısı ve yargısı .olduğunu biliyorsun ve onun kararına itiraz yok." Dedi

(مش وقتو ،بعدين بتفهمي. ولكنكم تعلمون بأن كل شيء هو قضاء الله وقدره ولا اعتراض على حكم الله.)

قالت عمتي وهي تصرخ:

؟Bu ne anlama geliyor-

(ماذا يعني هذا؟)

قال على:

- …Bu öldüğü anlamına.

(يعني البقاء...)

لم يكمل خالي حديثه إلا وكانت عمتي ساقطة على الأرض مغشى عليها فهلع جناني ونهضتُ من مكاني وأنا أصرخ عمتي، عمتي.

(مصطفى)

خرجنا من المنتزه نحن الثلاثة أنا وابنتي رزان ومؤمن الذي اعتبرته مثل ابني متوجهين نحو البيت.

ونحن في الطريق بدأت أعرف على أسماء الشوارع والأزقة الضيقة المرصوفة بالحجارة الملساء والأماكن حتى وصلنا إلى البيت فهمستُ في أذن مؤمن قائلاً:

-الآن ستدخل معي لتشرب عصير المانجا المثلج وبعدها سأقوم بتوصيلك إلى بيتك.

فهز مؤمن رأسه موافقا، وطرقتُ على الباب فلا أحد يجيب بل سمعتُ صوت صراخ وبكاء وعويل ففتحتُ الباب بسرعة ودخلتُ مثل الذئب عندما يرى فريسته وبدأت اصرخ بنبرة حادة وقوية.

-نبض، نبض، أين أنتِ؟

فجاءني صوتها بنبرة حزينة تحمل في طياتها الضعف والعجز كنبرة صوت جندي ملهوف مصاب في الحرب ويريد من أي أحد إنقاذه وهي تقول أدركني يا مصطفى أدركني.

هممتُ بالدخول إلى الغرفة فإذا بي أرى زوجتي تقفُ على الباب وهي تبكي وتقول لي بحدة:

-أين أنت ؟، لماذا لا ترد على هاتفك المحمول؟

فقلت بهدوء:

-اعذريني، قصة طويلة سأشرحها لك لاحقاً، ولكن الآن لماذا كل هذا الصراخ والبكاء؟

-لا وقت للسؤال الآن، هيا وبسرعة بدل ملابسك سنذهب للمشفى.

-لماذا، ماذا تخفين عني يا نبض؟، لا تلعبي بأعصابي، قولي ماذا حدث؟

فقالت:

-مصطفى بدل ملابسك وفي الطريق نتحدث، هيا وبسرعة.

بدلتُ ملابسي وقمت بتوصية مؤمن ورزان بعدم الخروج أو فتح الباب لأي سبب من الأسباب وبعدها خرجتُ أنا وزوجتي للمشفى مشياً على الأقدام لأنها كانت قريبة من بيتنا.

ونحن في الطريق بدأت تخبرني زوجتي بما حدث فقالت:

-جاءت أمك حبيبة وخالك علي ومن هنيهة كانا عندنا في البيت.

فقاطعتُها شاهقا:

-ماذا؟ أمي وخالي؟ لا مستحيل، هل تسمع أذناكِ ما يقول فمكِ.

-مصطفى لا وقت للسخرية اسمعني وباختصار أمك أغمي عليها في بيتنا، وخالك من طلب لها الإسعاف.

-ماذا؟ ولماذا لم تذهبي معهما؟ وأبي أين هو الآن؟

-يا ليت، لكن خالك لم يوافق على ذهابي وقال لي انتظري مصطفى وبعدها تأتيان معا.

فقلت وآثار الصدمة بادية على محياي وفؤادي يشتعل نارا من شدة خوفي على أمي:

-طيب ولماذا أمي حبيبتي أغمي عليها؟ ما السبب في ذلك؟ إياك أن تكوني تحدثتِ بكلمات جارحة لها، فلم تجبني.

فقلتُ لها:

-نبض ما بكِ؟ أجبيبنني؟

فقالت وعيناها تذرفان الدموع:

-لا أستطيع، لا أستطيع، في المشفى ستعرف ولكنني لم أقوم بجرحها.

-وإلا من ماذا ؟ لا تتفلسفي علي؟

-لحظات ونصل المشفى، وهناك ستعرف من خالك علي.

صمتُ واجماً مضطراً إلى الانسحاب بهدوء قبل أن أفعل شيئاً أندم عليه لاحقاً.

(مؤمن)

جلستُ على حافة السرير المتواجد في غرفة رزان، حزين، كئيب كعادتي فما لبثت إلا أن فتح باب الغرفة وإذا برأس يظهر من خلفه على وجهه لثمة سوداء وهو يقول بصوته الجهوري:

-مؤمن، ماذا تفعل هنا ؟

اتسعت عيناي بدهشة مما أرى وتسارعت نبضات قلبي فلم أستطيع الوقوف على قدماي.

ظننتُ حينها أنني سيحل بي إحدى من الاثنتين إما القتل أو الخطف.

(مصطفى)

دخلنا المشفى وأخرجتُ هاتفي لأتصل على خالي فتذكرت أن رقمه تركي ولن أستطيع الاتصال به، فضربتُ الارض بقدمي وقلت:

-ماذا سأفعل الآن؟ أين سأجدهم؟

فقالت نبض:

-هناك يجلس دكتور ما رأيك أن نذهب إليه ومن ثم نسأله؟

-تمام، هيا بنا.

ارتد الدكتور إلى غرفته فلحقنا به حتى وصلنا إلى تلك الغرفة، وطرقتُ على الباب ومن ثم فتحته ودخلنا فإذا به ينظر إلينا نظرة استنكار فقلت:

-السلام عليكم رحمة الله وبركاته، يعطيك العافية يا أخي، لو سمحت ممكن استفسار بسيط؟

-احترم نفسك، من أين أنا أخاك؟ أنا دكتور قد الدنيا ولا أريد أن أجيب أي أحد، اخرجا وأغلقا الباب حالاً، هيا وبسرعة.

خرجنا من غرفة الدكتور بقلب مجروح وخاطر مكسور فما الذي فعلته ليفعل بنا ذلك.

أهو فعلاً لأني لم أفل له يا دكتور، أم أن الخلل في الباكستاني الذي أرتديه ولحيتي السوداء الطويلة.

فقلت وانا أحدث نفسي:

كفى يا هذا أمك تمكث في المشفى وأنت لا تعلم ماذا حدث لها وتفكر في ذلك الإنسان المستنكف المتكبر فأنا لم أُخلق لأثبت للناس بأنني ملاك ولا لأثبت لهم بأنني شيطان، المهم الآن هي أمي.

ومن ثم اتجهت إلى زوجتي وقلت:

-نبض امشِ معي سأذهب إلى غرف المشفى واحدة تلو الأخرى وأعرف أين هي أمي.

-لا، لا داعي لهذا فعمتي ستكون إما في قسم الأعصاب وإما في قسم القلب.

-ولماذا هذان القسمان بالذات يا ذكية؟

فقالت وقد احمرت وجنتيها:

-لأنه من الممكن أن يكون قد حدث عندها انهيار عصبي أو...

-أو ماذا تحدثي؟

-أو حدث خلل في قلبها.

-لا، لا يمكن، أمي انا؟ طيب قولي لي؟ ما سبب دخولها للمشفى؟ أنا أشعر وكأنني طفل صغير تائه في عمق الضباب ولا يعرف أين يذهب، قولي وأريحي فؤادي.

-لا أستطيع، ولكن كل ما أستطيع قوله أنّ هذه أول غرفة من قسم الأعصاب سأدخل وأرى إن كانت فيها ام لا، وبعدها ستعرف كل شيء من خالك علي.

🤍 🤍 🤍

(مؤمن)

خلعتُ حذائي ونهضت باتجاه الباب وأفكاري الجنونية تدور في رأسي نعم سأضربه حتى يعلم كيف يدخل بيت من دون أذن.

أمسكتُ برأسه وقمت بضربه بحذائي ملحقاً إياه صفعة على وجهه.

فإذا به صوت أنثى تستنجد وتقول مؤمن توقف، توقف أنا رزان ارحمني.

فقلت:

-اللعنة، ما هذا اللباس الأسود الغريب؟ لقد قمتِ بإفزاعي.

ضحكت وهي تقول:

-هل أخفتك؟

-نعم.

-التمثيل موهبتي، ما رأيك أن أصبح في المستقبل ممثلة.

فأجبتها بعدم اكتراث:

-لا أعلم، كما تشائين.

-الآن أنا سأذهب لأنام في الغرفة المجاورة وأنت أبقى في غرفتي، تصبح على خير.

-وأنتِ من أهله.

بقيتُ لوحدي في الغرفة ،فتمددتُ على السرير وكان السرير مقابلاً للنافذة وبدأت أراقب النجوم والقمر وأفكر ماذا سيفعل أهلي بي، جدتي، أبي، أخي وأحسب حساب كل واحد منهم ماذا سيفعلون بي؟

فأولاً يأتي أبي لا بد أنه في عمله الآن.

وثانيا جدتي لابد أنها قد نامت منذ وقت طويل.

وثالثا أخي لا بد أنه في سهراته المخلة للآداب والأخلاق مثله.

ولكن يا هل ترى؟ من منهم سيفتقدني؟ من منهم سيضربني؟

مكثتُ فترة طويلة في التفكير منتظراً عودة الشيخ مصطفى ولكنه حتى هذه اللحظة لم يأتي ومن ثم غلب النعاس عيناي الذابلتين، ونمتُ باستسلام.

(مصطفى)

جاءني صوت زوجتي وهي تقول :مصطفى، مصطفى، سبحان الله لم يسمح الرحيم أن نتألم أكثر وننذل فها هي أول غرفة يوجد بها أمك وخالك بسرعة أقبل.

دخلتُ الغرفة فوجدتُ أمي نائمة على السرير ولا يظهر منها إلا وجهها القمحي وحول رقبتها حجابها الأبيض وعلى أنفها جهاز الأكسجين.

أما خالي فقد كان جالساً على كرسي يضع كفه على خديه فأسرعتُ وقبّلتُ أقدام أمي .

أمي التي سافرت منذ ١٠ أعوام ولم أراها إلا قبل ٧ أعوام من الآن عندما تعلمتُ أنا ونبض اللغة التركية من أجل السفر والمكوث هناك ولكننا لم نستطيع التأقلم هناك بعد.

ففي نهاية المطاف قررنا العودة إلى بلادنا لأننا لم نصبر على فراق وطننا الحبيب أكثر دافنين الشوق في أعماقنا.

ارتفع صوت المؤذن في المسجد المجاور للمشفى فقالت نبض:

-مصطفى أنا سأبقى مع عمتي ارتد إلى البيت أنت وخالك وجهزا أنفسكما لصلاة الفجر فكما أخبرنا الرسول أن ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها.

فوجدتها فرصة لأتحدث مع خالي بانفراد وأعرف ما الذي حصل من الالف إلى الياء فقلتُ:

-تمام سنذهب لتأدية الصلاة ومن ثم سنشترى فطور ونأتي ولكن الأن هل تريدي أي شيء؟

-لا ،سهل الله طريقكما.

-إذا كنتي بحاجة لأي شيء فاتصلي بي.

-تمام، في رعاية الله.

(مصطفى)

ذهبنا للمسجد وبعدما انتهينا من أداء الصلاة قال خالي لي :

-ما شاء الله، صوته من الاصوات الندية في القرآن، أود أن أتعرف على هذا الشيخ يا مصطفى.

-سأعرفك عليه ولكن بشرط.

-وما هو ذلك الشرط يا حبيبي.

-أن تسرد لي ما حدث، وما سبب مرض أمي وأين أبي الأن.

-سأخبرك بكل شيء ولكن الأن يجب عليك شحن روحك بالصبر لأن الأمر سيكون صعب عليك لا محالة.

-المهم أن أعرف، وبعدما أعرفك على الشيخ سنذهب إلى البيت وتروي لي كل ما حدث وبعدها سنشتري فطور لنا ولطفلي وطفلتي.

- طفلك؟ ولكنني أعلم أن لديك طفلة فقط.

-لا عليك قصة طويلة، المهم كما اتفقنا .

- تمام هيا بنا.

(مؤمن)

استيقظتُ لأداء صلاة الفجر لكنني لم أقوم بأدائها في المسجد، فلقد كنت خائف، مرعوب من الظلام ومن مصيري الذي لا يعلمه سوى الله سبحانه وتعالى.

شرعتُ في الصلاة وأنا أصلي سمعتُ صوت زجاج وقع على الارض وصوت صراخ وأخبرني قلبي إنه صوت صراخ رزان حقاً إنه هو.

فسدتُ الصلاة وانطلقتُ جرياً نحو المطبخ فاذا بها ملقاة على الأرض والظاهر أنها قد جرحت، والبلاط الأبيض متناثر حوله الزجاج فقلت لها:

- ما الذي أيقظكِ الان؟

فقالت وهي تتأوه من الالم :

- كنت ظمئانة فنهضتُ لأروى ظمئي فأمسكت بالكأسة لأملأها فوقعت من يدي وانكسرت.
- أرى دماً على الأرض هل جرحتي.
- نعم، في قدمي اليمنى.
- كفارة إن شاء الله أمكثي هنا ولا تتحركي سأبحث عن حقيبة الإسعافات الأولية وأتي، خذي قطعة القماش هذه لفيها على قدمكِ، لن أتأخر انتظرني.

دخلتُ الغرفة ولحسن الحظ وجدتها في غرفة الجلوس، الظاهر أنهم استخدموها اليوم، فقلتُ بنبرة فرح:

- رزان، وجدتها سأقوم بتطبيق كل ما تعلمته من أبي عندما كان يسعفني.

لففتُ قدمها بعد أن طهرتها بمطهر الجروح، وكنتُ في قمة الفرحة فها أنا قد أتقنت جزءاً من حلمي الذي كنتُ أحلم به.

وبعدها قمتُ بإملاء الكأس بالماء وحملتها إلى سريرها بعد أن روت ظمأها ومن ثم جلسنا نتبادل أطراف الحديث.

(مصطفى)

سلمنا على الشيخ، وبدأتُ أعرف خالي على الشيخ فقلتُ له: هذا إمام المسجد يدعى بالشيخ صلاح الدين.

فقال خالي:

- تشرفتُ بمعرفتك وأعرفك على نفسي أنا علي وجنسيتي تركية ولكنني أتقن اللغة التركية والعربية في نفس الوقت ويكون مصطفى ابن أختي، ولكن الأن هل تسمح لي أن أطلب منك طلب؟
- نعم، اطلب ما تشاء.
- ما هي أيام الدروس الدنية في المسجد؟
- كل الأيام.
- وفي أي وقت؟
- بعد صلاة الفجر مباشرة.
- بارك الله فيك.
- وفيك يا أخي.

وبعدها سلمنا على الشيخ وعانقناه ومن ثم توجهنا إلى المنزل.

دخلنا البيت بهدوء، وذهبتُ فوراً للاطمئنان على أطفالي. فتحتُ باب الغرفة بهدوء لظني أنهما نائمان، ولكنني وجدتهما يصليان معاً ومؤمن يأخذ مقام الأمام.

انتهيا من الصلاة ونظرا على الفور نحو الباب، فانطلقا نحوي مسرعان وهما يهتفان بصوت واحد: بابا مصطفى.

فقلتُ:

- كيف أصبحتما؟

فأجاباني:

- أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

- هل انتهيتما من الصلاة؟ وما الذي دفعك يا رزان للنهوض مبكراً للصلاة؟

فقالت رزان:

- استيقظت لأنني ظمأنه وتوجهتُ للمطبخ لكي أشرب فسقطت الكأسة من يدي وانكسرت وجُرحتُ في قدمي، ومؤمن من قام بلفها لي، وبعدها جلسنا نتبادل أطراف الحديث وفجاءة شهق مؤمن وقال:

- وحسرتاه، لقد نسيتُ أن أصلي.

فقلتُ له:

- وأنا أريد أن أصلي، ما رأيك أن نصلي معا، وتكون أنت الأمام.

فأومأ برأسه موافق، وصلينا.

فقلتُ لهم:

- حفظكما الله من كل سوء، وثبت قلوبكما على دينه، وأعتذر لك يا مؤمن فلقد تعبت معنا كثيراً.
- لا بأس يا أبي ولكنني سأرتد الأن إلى بيتنا.
- لا، لا يمكن سأتحدث قليلاً مع خالي وبعدها سنذهب لشراء الفطور، ستبقى هنا حتى تتناول وجبة الفطور.

(نبض)

جلستُ بجوار عمتي وأخذ لساني يلهج تلقائيا بحمد وشكر الله على نعمة الصحة ففعلا لا يشعر بقيمة الصحة إلا الذي فقدها.

ومن ثم خرجتُ من غرفة عمتي قاصدة النزول لشراء العصير، وأنا في الطريق، رأيتُ منظر تقشعر منه الابدان.

رأيتُ سيارة إسعاف ومسعفون يخرجون فتى في مقتبل العمر وعلى ما يبدو أنه يحتضر، فبدأتُ أتذكر ما قالته الداعية عن الموت، وقوله سبحانه وتعالى " وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد"، وقول الرسول ﷺ" إن للموت لسكرات" فها أنا اليوم قد رأيتها بأم عيني.

بدأت الأفكار تحوم في عقلي، ففي يوم من الأيام سأكون مثل هذا الرجل ومثل عمي محمود، سأموت لكن يا هل ترى هل سأموت بحسن خاتمة أم لا؟ وقبل ان أموت بحسن خاتمة أم لا، كيف ستكون سكرات الموت؟

بدأت يداي ترتعشان وقلبي يضطرب، نعم إنه الموت، مفرق الجماعات، وهادم اللذات، ثم صرخت وقلتُ:

-لا يا ربِ لا تأخذ روحي دون أن أكون على حسن خاتمة، لا يا رب أعاهدك من اليوم أنني سأكون من عبادك المحسنين.

يا رب أرجوكَ ثبت قلبي على دينك، فأنا الآن في اختبار وخير الناس من ينجو وينجح بهذا الاختبار بفوز وسلام؛ لأن هذه الدنيا لهو ولعب مثلما قلتَ أنت في كتابك العظيم في سورة الحديد(٢٠)

"اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما" .

يا ربِ سأفعل كل ما بوسعي من أجل أن يكون لي قدم في جنتك لقولك يا رب في قرآنك العظيم في سورة آل عمران(١٣٢)

"وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين".

(مصطفى)

جلستُ متحمسا لأسمع من خالي ما حصل ولكن قلبي في نفس اللحظة مقبوض فقلت:

-خالي حدثني ماذا جرى؟

-أوعدني أن تصبر وتتحمل.

-أعدك بذلك.

فبدأ خالي برواية ما حدث وقال:

-كنا في تركيا وهناك قال أبيك أنا مشتاق لولدي الوحيد سأسافر لألتقي به قبل أن أفارق الحياة فقطعت أمك حديثه وقالت: أبدا لن أدعك تذهب إلا وأنا معك فقلتُ لهم: وأنا سأرافقكم.

فحجزنا تذاكر ووصلنا بعد ذلك إلى معبر رفح ونحن في معبر رفح شعرنا بالتعب فوالدك أجلسنا وقال انه سيذهب للكافتيريا ويشتري لنا ماء، وعصير مثلج.

انتظرنا لفترة من الزمن ولكنه لم يأتي، فنهضتُ لأرى لماذا تأخر فوجدتُ أنّ سيارة من نوع فولكس قد قامت بدعسه، فاتصلت بالإسعاف فوراً وذهبنا إلى المشفى.

أدخلوه غرفة العناية المكثفة فوراً ولم يسمحوا لي بالدخول، وفي ذلك الوقت اتصلت بأمك وقلتُ لها ان تذهب عند زوجتك وأخبرتها بأمر الحادث ، وبعدما انتهيتُ من مكالمة أمك انتظرتُ هنيهة ، فخرج الدكتور وعلامات الحزن بادية على محياه وقال لي أن البقاء لله.

ومن ثم رجعتُ للبيت وعندما سمعت أمك خبر موت أبيك سقطت مغمى عليها واتصلتُ بالإسعاف وهي تمكث الآن في قسم الأعصاب، هذا كل ما جرى.

ضربتُ كفاي ببعضهما البعض وودتُ حينها لو أن الأرض تنشق وتبتلعنِ أهون على قلبي من ان يحدث معي هكذا.

دفنتُ الألم والوجع في قلبي وأصبحتُ كالطيور أتألم دون أن أتكلم.

وبعد برهة من الزمن قلتُ:

-خالي أرجوك النقود في المحفظة على الطاولة في الغرفة المجاورة خذها واذهب لتشتري ساندويشات لرزان ومؤمن ولك ولزوجتي.

-وانت؟!

-لا أريد سأرتاح الأن فترة قصيرة وبعدها سأقوم بتوصيل مؤمن لبيته ومن ثم سآتي الى المستشفى .

-وأنا سوف أذهب الأن مصطحبا معي رزان.

-تمام في رعاية الله.

-في رعاية الله.

بقيت في الغرفة لوحدي وصدري العريض يعلو ويهبط ودقات فؤادي غير منتظمة وفي ذلك الاثناء بكيتُ بكاء مريراً حتى ظننتُ أن الدموع انتهت.

أخرجت هاتفي النقال من جيبي وفتحته على الانشودة الحزينة "رقد البكاء"

رقد البكاء على وسادة مهجتي ..

في كل أيامي وآنس وحدتي..

سكن الجفون بدمعه وبحزنه..

وآبى مغادرتي وعاش بحيرتي..

أهداني الاوجاع لا ترضى بما..

قسم الفؤاد لها تريد منيتي..

فبكيت آلامي وكنت أنا البكاء..

ونقشت في قلبي جروح بليتي..

وقمت عمري دون روحي اوبلا نفسي وما كانت حياتي جنتي..

فالعمر مات مع الذي كان الهدى ..

لي في الحياة وكان يسكن مقلتي..

ابتاه ذاك اقام في قلب وطن..

يمشي بوجداني ويرعى دولتي..

قد كان للطهر العيون به ترى..

والخير يلقى فيه كل مسرتي..

دخل خالي الغرفة وأنا أبكي فحدق بعيني بحدة وقال:

- هل الرجال تبكي؟ ألم تعدني أنك ستتحمل، انهض، الطفل أتم فطوره، أوصله إلى بيته وعندما توصله إلى بيته تلحق بنا وأنا سأخذ رزان وأذهب ثم قال محذراً: إياك أن تقوم بأي عمل جنوني، إلى اللقاء.

ومن ثم دخل الغرفة مؤمن، فكرهتُ أن يراني وأنا أبكي، فمسحتُ دموعي وقلتُ له:

-هيا يا بطل، هل أنت مستعد؟

-مستعد.

ركبنا السيارة وانطلقنا بعون الله وقوته، ونحن في الطريق قال مؤمن أخي وجدتي بانتظاري وهم لا يعلمون أنني كنتُ معك، سيضربونني بالتأكيد، أنا خائف.

-كلا، أنا سأتحدث مع جدتك وسأخذ منها وعد أن لا تمسك بأي سوء، اطمئن.

(علي)

انطلقنا على الدراجة النارية، أنا وخلفي رزان وكنا مسرعين حتى نستطيع الوصول، أوقفتنا الشرطة والتي كانت تلاحقنا منذ زمن قصير وهي تقول أنني قمت بدهس طفل صغير، ارتبكت لم أعرف بماذا أجيب، يا للهول ماذا فعلت؟

فقلت بصعوبة:

-أقسم بالله أنني لم أراه.

-إلى أين أنت ذاهب؟

-إلى المشفى.

-ما هو اسمك؟

- علي.

-وهذه الطفلة، هل هي ابنتك؟

-لا، إنها ابنة ابن أختي.

-أين والديها؟

-أمها في المشفى.

ثم قال الضابط: اعتقلوه، سننتظر التقرير الطبي للطفل، وبعدها سننظر في أمرك، وهذه الطفلة خذوها عند أمها.

-إن زوج أختي توفى و جنازته بعد الظهر اسمحا لي بحضور الجنازة.

-عندما يحين وقت الجنازة سنأتي بك.

صمتتُ ولم أجد ما أتكلم به، بل كانت جوارحي هي من تتكلم وهي تتراقص من الخوف والوجل.

(نبض)

عدتُ أدراجي مسرعة، واتجهت نحو حقيبتي وأخرجت منها القرآن الكريم الذي مضى فترة ولم أفتحه إلا عندما يأتي يوم الخميس في الليل لأقرأ سورة الكهف، وقمتُ بعناقه وأنا أبكي وقلت: لا فراق بعد اليوم، سنبقى على اتصال دائم، سأصنع قلب سليم مثلما قلت يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم الشعراء(٨٨-٨٩).

سأجعل نفسي سليمة من الجهل والاخلاق الرذيلة.

(مصطفى)

وصلنا منزل مؤمن وطرقتُ الباب، فخرجت لي عجوزة مسنة، وجهها مترهل، كانت مرحة ولكن سرعان مرحها ما انطفأ عندما رأت مؤمن معي، وحل مكان الفرح كشرتها، فقال لي مؤمن بصوت منخفض هذه جدتي، الآن ستضربني، تحدث معها، استحلفك بالله.

-اهدأ لن يحصل إلا كل خير.

فقلتُ لها:

-سامحيني يا خالتي، مؤمن كان معي عندما كنا في المنتزه وتأخر الوقت ولن أستطيع إحضاره في الليل فنام عندي.

-سامحتك يا بني، كثر الله خيرك.

-ولكن يا خالتي.

-قل ماذا بك؟

-هل ستضربينه؟

-لا أنا، انا أضربه مستحيل.

-أوعديني.

-أعدك بذلك..

اطمأن قلبي على صغيري، وانطلقتُ بعدما دخل مؤمن وجدته إلى المنزل.

🤍 🤍 🤍

(علي)

دخلنا مركز الشرطة، أحسستُ حينها برهبة ملأت جسدي ،إنه ذلك المكان الذي يتواجد فيه فريقين من البشر، الأول أناس يمشون على الارض وكأنهم ملاك، والثاني أناس مجرمين من (عملاء، تجار مخدرات، قتلة...).

جلستُ على الكرسي وماهي إلا لحظات قليلة وإذا برجل يقبل وعلى ما يبدو أنه هو من سيحقق معي، أحسستُ بالراحة عندما رأيته ولكنني أيضا خفت قليلا عندما رأيت في عينيه الذكاء والحنكة ولكن لا بأس فكما كنتُ أسمع من حبيبة أن الشعب الفلسطيني رحيم وتأكدتُ من ذلك عندما عاملتُ زوجها الفلسطيني.

جلسنا نتبادل أطراف الحديث، اعتقدتُ أولا أنه سيقوم بتعذيبي مثلما يفعلون في الدول الأجنبية لكن حديثه كان يحمل في ثناياه حناناً ورحمة فقد قام بتهدئتي أولاً وبعدها سألني ما سبب دهسي للطفل وكيف؟

فسردتُ عليه كل ما حصل معي ، فوجدته متفهما لذلك ولمستُ في نبرة صوته تعاطف لم أعهده من ذي قبل في بلدي، ومن ثم قال لي حسنا أهلك

علموا بالأمر و سيذهبون ليعرفوا كيف حال الطفل وبعدها سيحصل خيراً إن شاء الله.

(مؤمن)

نادت جدتي عليّ أخي بصوت يطرق مسامعي بحدة، وطلبت منه أن يأتي بحبل وعصا، فقلت بصوت مرتجف:

-جدتي، ألم تعدي الشيخ بأن لا تضربينني؟ أرجوك أنا منهك ومنهار من كثرة الضرب، ارحميني أيتها العجوزة الشمطاء.

-اخرس أيها الولد العاق، لك ذنبين: الأول تخرج من البيت ومن دون إذني وعلمي، والثاني تشتكيني إلى ذلك الشيخ المعقد، فعلت كل ما بوسعي من أجلك يا حقير، وها أنت الآن تنكر الجميل وكأنني قاطعة لرقبتك، سأعيد تربيتك من جديد يا غبي.

جاء أخي ومعه ما طلبت منه جدتي، ومن ثم قالت جدتي:

-اجلسه على الكرسي، وقم بتربيطه حالاً.

-جدتي، ماذا تريدين أن تفعلي؟ أنتِ وعدتِ الشيخ أن لا تضربينني ونحن لا نخلف الوعد.

فقالت مهددة:

-قلتُ لك اخرس، لستُ أنا من سيضربك، سأجعل أخاك بالنيابة عني يضربك.

قام أخي بتوثيقي، وبعدها أمرته جدتي بضربي، فقام بضربي ضربا مبرحاً، لو ضُرب للحيوانات لما استطاعت تحمله، فأخي لا يحب جدتي كثيراً، ولكنه يحب أن يضربني، ويؤذيني، كل ذلك نتيجة لاختلافنا في الأفكار والأخلاق، فهو غير ملتزم بما تعنيه الكلمة، وأنا لا أحب الأشخاص الذين

يتصفون بهذه الصفات حتى ولو كان أخي، أنا أحب من هو على صلة دائمة بينه وبين ربه، باختصار أحب الأشخاص الملتزمين(أهل المساجد).

فمن هذا المنطلق يحب أن يستنكف ويستهزئ بي وأنا بعد موت أمي لم أجد من يدافع عني، من يحميني، من يرعاني فأمي كانت مثلي تماما تحب الملتزمين، آه لو كنتِ هنا يا أمي لما ضربتُ مثل هذا الضرب، رحلتِ ولكنك لم تتركيني وحدي، تركتِ إيماني، ديني الذي تعذبتُ من أجله كثيرا وبعد هنيهة قالت جدتي لأخي:

-فك قيده وأنت أيها الولد الشقي انصرف إلى غرفتك حالا، وإذا علمتُ أنك أخبرت والدك سيكون حسابك عسير، هل فهمت؟

فقلتُ بعدم اكتراث :

-فهمت.

دخلتُ الغرفة وصدري يعلو ويهبط، ووجهي غارق بالدموع وأنا أحدث نفسي ماذا سأفعل الآن.

اتجهتُ إلى دورة المياه، فتوضأت ومن ثم اتجهت إلى خزانتي ففتحتها وأخرجتُ منها سجادتي، وعندما أخرجتُ سجادتي، سقطت ورقة مطوية بعناية فائقة مكتوب عليها:

"إليك يا حبيبي مؤمن".

ولكنني لم اكترث ،فتركتها على الأرض وشرعتُ في الصلاة، وفي مناجاة الله.

(نبض)

دخل مصطفى وأخذ ينظر إلى أرجاء الغرفة باستغراب فهو لم يكن يعلم بشأن الحادث لكنني كنت أعلم فقد روى لي الشرطي ما حدث عندما أتي بطفلتنا لي، فقال وهو يحدق بي وبطفلتنا:

-أين خالي؟

فقلتُ بصوت مقبوض وأنا متجنبة النظر لعينيه ومحياي متعرق ووجنتي محمرتين : خالك علي، لا أعلم.

فقال محذراً:

-نبض، اصدقيني، اعلم نظراتك جيداً، تكلمي.

-ولكنني خائفة عليك، لا أعلم كيف ستتحمل كل هذا، مصطفى

أنا أحبك وأخاف أن تتركني وتذهب.

فلمس وجهي بيده وقال بحنان:

-وأنا كذلك يا عزيزتي، ولكن إن كنتِ تحبينني حقاً فقولي لي أين خالي؟

-ولكن.

-ولكن ماذا؟ لم يبقَ لأذان الظهر إلا ساعة ونصف وأنا جهزتُ كل ما نحتاج إليه من أجل تكفين أبي الغالي، وأنا انتظر خالي الآن كي نقوم بتغسيله، قولي لا وقت لدينا.

ثم قالت وعيناها ممتلئتان بالدموع.

-خالك قام بدهس طفل وهو الآن في مركز الشرطة.

أحسستُ أن كلماتي نزلت كالصاعقة على أذنيه، فأردفت قائلة:

-يجب أن تذهب الآن وتعلم ماذا حدث للطفل.

فقال وهو يتنهد:

-حسنا، سأذهب حالاً.

وبعدما خرج مصطفى أحسستُ أن الزمن يتهادى في مشيته متخلياً عن طبعه المتعجل، لحظات مرت وإذا بعمتي تفتح عينيها، فسجدتُ شكراً لله، ومن ثم انطلقتُ نحو الطبيب مناديه إياه، فجاء وقام بفحصها وبعدما انتهى قال لي:

-صحتها تحسنت كثيراً، ولكنها تحتاج إلى الراحة ويجب ألا تتعرض للحزن والصدمات في هذه الفترة.

-لكن هل أصابها انهيار عصبي؟

-نعم، كيف علمتِ ذلك؟

-لأنها تلقت خبر صادم والظاهر أنها لم تتحمل ذلك.

-أعانكم الله، ولكن في هذه الفترة لا يجب أن تخبروها بأي شيء، ثم تابع قائلاً، سلامتها إن شاء الله.

-سلمك الله، بارك الله فيك.

ارتد الدكتور إلى غرفته، فتوجهتُ نحو عمتي وقلتُ لها:

-لا تقلقي يا عمتي، ستكونين بخير بإذن الله.

- نبض، أريد أن أخرج الآن وبسرعة.

-عمتي هذا خطير على صحتكِ.

-لا ليس خطيراً، فأنا سأودع حبيب قلبي الوداع الأخير.

قالت ذلك وعيناها تذرفان الدموع، ولم يكن حالي بعيداً عن حالها كثيراً، فقد تماسكتُ نفسي أمامها مكابرة؛ حتى تبقى ثابتة ولا يحدث لها انهيار تارة أخرى.

(مصطفى)

سلمت على أهل الطفل وقمت بتعريفهم على نفسي، وبعدها سألتهم عن أحوال الطفل، فطمأنوني وقالوا لي أنه في أحسن حال ولا يوجد سوى كسر في يده اليسرى، فحمدتُ الله ودخلتُ الغرفة بعدما سمحوا لي برؤيته، ومن ثم قلتُ لهم أنني مستعد لدفع أي مبلغ يريدونه فهو حق الطفل ، لكنهم رفضوا ذلك وقال والده:

- سأذهب الأن أنا وأنت لأتنازل عن القضية.

فشكرته ثم انطلقنا بعون الله وقوته.

(مؤمن)

انتهيتُ من الصلاة ومن ثم اتجهتُ إلى حديقة المنزل ناسياً أمر تلك الورقة.

جلستُ بين الازهار و الورود منتظراً عودة أبي من عمله، انتظرتُ طويلاً لكنه لم يعد، فقلتُ في نفسي: بالطبع هو لن يكذب علي، فهو يعمل في مركز الشرطة وبالتأكيد حدثت قضية ما فأضطر إلى أن يجد لها حل قبل أن يبرح.

وفي الوقت الراهن تذكرت أمر تلك الورقة فتوجهتُ إلى غرفتي أبحث عنها لكنني لم أجدها، لقد اختفت فجاءة ، أيتها العجوز الشمطاء لابد أنك أخذتِ الورقة ولكن ما شأنكِ بها ؟ وبماذا ستنفعكِ؟ وماذا تُحبكين من جديد؟ متى ستُكفين عن ألعابك الطفولية الغبية؟ متى؟

كاد دماغي أن ينفجر فماذا يا ترى مكتوب فيها؟ يا ليتني قمت بفتحها ولكن هيهات وهل ينفع الندم بعد العدم؟

(مصطفى)

توجهنا إلى المشفى بعد أن تنازل والد الطفل عن القضية، مررنا بغرفة أمي فوجدناها بصحة جيدة والحمد لله ومن ثم قمنا بالاستفسار من نبض ماذا قال الدكتور عن أمي فسردت لنا كل ما جرى بعدها قالت أمي:

- أنا لا أريد البقاء هنا، سأذهب معكم إلى البيت.

فقبلتُ رأيها بعد نقاش طويل وعلى مضض لأنني لم أرغب في إتعابها ومن تم استلمنا جثمان أبي وبعدها توجهنا جميعنا إلى البيت.

توجهتُ انا وخالي لتغسيل جسد أبي الحبيب، أما نبض فقد قامت بتجهيز سرير أمي وبعدها قامت بتجهيز البيت كاملاً، فاليوم سيكون أول أيام العزاء وسيمتلئ البيت بالمعزيين حتماً.

انتهينا من تغسيل جسد أبي وتكفينه وجاء الأن الوقت الأصعب إنه وقت الوداع الذي تترقرق فيه الدموع وتتحطم منه القلوب.

ودع أهلي جميعهم أبي إلا أنا فاقتربت منه وهمستُ في أذنه قائلاً:

-كنتُ مشتاق لك كثيراً و لكن الجنة مشتاقة لك أكثر، نم قرير العين يا غالي وأود أن أخبرك بعدد من الكلمات التي كنت سأخبرها لك ولكنني لم أجد الوقت المناسب لذلك الأن سأقولها وبكل صراحة: أحبك يا أبي بالنيابة عن كل عناق فائت وعن كل مسافة منعت يداي من ملامسة وجنتيك.

ثم طبعتُ قبلة على وجهه وجبهته بعدها قلت: نم في سلام يا حبيبي.

ومن ثم ودعه الجيران وأقاربي وبعدما انتهينا من الوداع أخذناه لنصلى عليه وهذا هو الواجب الأخير الذي سنقوم به تجاه في هذه الدنيا الفانية.

(مؤمن)

جاء أبي بعد صلاة العصر مباشرة، فانطلقت وارتميت في حضنه فحملني وسألني بعدها مباشرة:

- هل آذتك جدتك اليوم؟

فتذكرتُ تهديدها لي فلم أستطيع أن أتكلم وأقول كل الذي فعلته بي ، فأشرت بيدي نافيا فحمد الله أبي على ذلك، ولكنني صفتي دائما شجاع ولكنني عندما وقعتُ في هذه الموقف أصبحت جبانا لا أستطيع الدفاع عن نفسي حتى بالكلام، وبعد فترة جاءت العجوز وقالت لي بحدة :

- اخرج أيها الولد الشقي وأغلق الباب خلفك.

فخرجت وعزمت في نفسي أن أقف خلف الباب وأسترق السمع وعلى الرغم من أنني أعلم أنه حرام لكنني كنت مضطرا لأنني كنت متيقن أنها جاءت إلى أبي من أجل تلك الورقة فهي لا تحب أبي لحبه لأمي رحمها الله بل وكانت تكرهني أيضاً وعندما تراني يسيطر عليها التشاؤم فهي تتدعي أنني أشبه أمي وعندما تراني تتذكر أمي الغالية...

كان النقاش في الداخل يسير بهدوء ولكنه مع مرور الدقائق بدأ يشتد، وفي نهاية المطاف عرفت ما شأنها فقلت في نفسي: لهذه الدرجة تصل الخباثة والشيطنة يا جدتي، تعرفون ما شأنها بها؟!

لقد ادعت تلك العجوزة الشمطاء أن الورقة كانت أمي قد كتبتها لحبيبها ولم تستطيع توصيلها له قبل أن تموت ولكنها الظاهر أنها لم تنتبه إلى الجملة التي كتبتها أمي خلف الورقة فقد كانت جدتي لا ترى جيدا حتى وهي مرتدية نظاراتها السميكة فاستجمعت قواي وعزمت على الدخول فعندي أن أطعن بسكين حاد في قلبي أهون علي من أن تُطعن أمي بكلمة حتى وهي متوفية ففتحتُ الباب بقوة وقلت بصوت قوي تصدعت منه جدران المنزل: إنها كاذبة. تم اقتربت منها وقلت لها: اتقِ الله ألن تكفي عن طعن أمي، أمي في ضريحها الآن ألن تخافي من الله؟

فقامت وجابهتني وبعدها أمسكتني من كتفي وقالت:

- ماذا تقول يا حيوان؟ أنا كاذبة! اثبت إذن وإلا فإن عقابك سيكون عسير.
- حسنا، فوجهت كلامي لأبي وقلت له: أبي الورقة معك، انظر إلى الوجه الخلفي لها.

فنظر أبي وعلم ما ترنو إليه ذلك الشيطانة، ثم أخذت الورقة من أبي واحتضنتها وانطلقت نحو الحديقة لكي أقرأها بتمعن وتدبر.

(مصطفى)

مرت أيام العزاء الثلاثة وكان لكل يوم صفات كثيرة من فراق وألم وحزن وخوف ورهبة وإرهاق وقلق، بعدها بدأنا بالاعتياد على الحياة من جديد، وبعد أسبوعين من موت أبي قرر خالي الرجوع إلى بلاده وعزمت أمي على الرجوع معه، فذهب خالي لحجز التذاكر وبقيت أمي ترتب الحقائب، فقلت لها:
-أمي ابقِ فترة أطول هنا، أرجوكِ.
-كلا يا بني، يكفي هذا القدر، فلم أعد أستطيع الصبر عندما أتذكر أباك وهو في هذا البيت بكفنه، ولا أصبر أكثر عندما أمشي من عند المقبرة، هل تعلم يا بني ماذا يحدث بي؟ تأكلني الحسرة، ويأكلني الشوق ولكن ثق تماماً أنني لن أنساك، وسأدعو لك دائماً يا حبيبي.
-أسعدكِ الله يا أمي الحنونة، أما بالنسبة للسفر فكما تشائين لن أجبرك على شيء أنتِ لا ترغبينه.
قلتُ ذلك وأنا ذاهب لأخذ هاتفي من على المنضدة؛ لأتصل على صديقي المقرب "سعيد"، فأنا لم أره منذ أكثر من أسبوعين، عندما نزل إلى دورة التدريب المغلقة، ولكنه لم يجب على مكالمتي، فتوقعتُ أنه لم يغادر حتى هذه الساعة، فقررتُ الانتظار ساعة من

الزمن وبعدها أعاود الاتصال به، ولكنني لم أستطيع أن أصبر الساعة كاملة فأخذتُ أدور في البيت وبعدها قلت سأتصل ثانية فأنا لا أستطيع الصبر أكثر، فجاءني صوته وهو يقول السلام عليكم.
-وعليكم السلام، اشتقت لي بالتأكيد.
قهقه ضاحكاً وقال:
-بالطبع، اشتقت لك كثيراً.
-الله يسعدك، ولكنني أريد أن أراك.
-حسناً، سآتي لك الساعة الثامنة من مساء اليوم.
-اتفقنا، في حفظ الله.
أغلقتُ الهاتف وخرجتُ من الغرفة، فوجدتُ خالي قد حضر، فقلتُ له:
-ماذا حصل معك؟ متى ستسافران؟
-غداً، بإذن الله.
-على خير إن شاء الله.
ثم خرجت من البيت قاصداً بيت مؤمن لأطمئن ماذا حدث معه، فطرقتُ الباب، ففتح لي مؤمن، فشكرتُ الله أنني لم أرى جدته المسنة، فقال لي بصوت تزينه بحة لطيفة: تفضل.
-لا تصدر أي صوت؛ حتى لا تسمعنا جدتك، استأذن والدك لنذهب سوياً إلى البحر.
دخل مؤمن واستأذن والده، فأذن له وبعدها انتعل حذائه ثم انطلقنا.
وصلنا البحر ومن ثم جلسنا على إحدى الصخور الكبيرة، لقد كان كل شيء جميل، فأنا انتظرت الغروب متعمداً لنشاهد الاجواء اللطيفة، وألطف ما يكون في ذلك المشهد صوت الأمواج، فحين تسمعها تشعر بأنك في صفاء بعيد عن ضغوطات الحياة، تنظر حولك وترى المنظر الجميل، البحر والشمس يتهامسان، وقوارب الصيد الصغيرة التي تذكرك بالماضي البسيط.
لم يدم تفكيري بهذا طويلاً فقلت:
-مؤمن، صارحني يا حبيبي، لماذا عندما سمعت صوتي قبل حوالي أسبوعين ازداد بكائك؟

فقال بحرقة وهو يتنهد:
-لقد كانت أمي رحمها الله تحب سماع صوتك كثيراً، فمنذ صغري كانت دائماً تفتح لي القرآن والأناشيد الإسلامية بصوتك الشجي، كنتُ أحب صوتك كثيراً، وإلى الآن ما زلت أحبه، ولكنني عندما أسمعه أتذكر امي وكل شيء يتعلق بها فلا أستطيع منع نفسي من البكاء.
-منذ متى توفيت امك؟
-عندما رأيتني في المنتزه أبكي كان ذلك اليوم قد أتمت السنة.
-رحمها الله، ولكن لم جدتك هكذا قاسية معك؟
فقال وهو يطلق زفرة حارة:
-هذه جدتي نصرانية، قلبها خالٍ من الرحمة.
-ماذا ؟ وكيف أنت مسلم؟
-سأحدثك من البداية، عندما كان أبي في صباه كانت كل عائلته تتبع الدين النصراني فليس من المعقول أن يكون أبي مسلماً، ولم يعيشوا في دول عربية، بل كانوا في أمريكيا، وبالطبع هناك لا يوجد الدين الإسلامي.
ترعرع والدي أكثر وكان لا يعرف أن الحديث مع النساء الأجانب محرم، فعرف هنالك أمي، وكان أصلها فلسطينية، ولكنها أتت لأمريكا للدراسة، فقد كانت تدرس الشريعة الإسلامية، ومنذ أن رآها بدأ يحبها وفي كل مرة يحاول التحدث معها فترفض، فينتابه الفضول في معرفة ما الذي يمنعها من محادثته، وبعد ذلك قال لها: أتوافقي لو جئتُ لطلب يدك؟
فردت بسرعة: بالطبع لا.
فقال أبي: ولماذا؟ ما الذي ينقصني حتى ترفضي الزواج مني؟ أتظنين أنك أفضل منا؟
فقالت أمي: لا، ولكنني ببساطة لا أتزوج من رجل نصراني.
-وكيف عرفتِ أنني نصراني؟
-كنتُ أراك دائماً وأنت تمارس الطقوس الدينية النصرانية.
-وهل دينك لا يحل الزواج من رجل نصراني؟
-نعم ، هو كذلك.

-وإذا أسلمت.
-وقتها سأقرر.
كان في ذلك الوقت أبي كاذب في إسلامه، ببساطة منافق، ولكن كان يجب عليه فعل ذلك لكي يتزوجها ويومها غضبت جدتي وقامت بمحاربة أبي؛ لأنها لا تريد فتاة مسلمة أن تكون زوجة لابنها وبعدها تقدم لها وخلال هذه الفترة كان في الحقيقة نصراني، وبعد الزواج، انكشف الستار وعرفت أمي حقيقته، وكان في كل يوم يخرج إلى سهرات وحفلات مخلة للآداب، ويعود إلى المنزل مع بزوغ الفجر، وفي يوم من الأيام كانت أمي مستيقظة تصلي القيام، وبعدها أمسكت بالقرآن وبدأت ترتل سورة فاطر، فدخل أبي عليها وهي تردد في قوله تعالى" وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير" فاطر(٣٧).
حينها شهق أبي وشعر بالفضول، فجلس وطلب من أمي أن تشرح له الآية، وبالفعل قامت أمي بشرحها له، فأحس أبي بعذوبة القرآن وأسلم، وبعدها كان مسلماً حقا، فقد علمته أمي كل العبادات ولكن هل تسير الأمور دون عراقيل؟
فقد غضبت جدتي على أبي، وعزمت على عدم محادثته أبداً، وبالرغم من ذلك كان ابي دائماً يطيعها، ولكنه كان يردد أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
ومن يومها وجدتي تقسو على أبي؛ لأنه يحب أمي، وتدعي عندما تراني أنني اذكرها بأمي ولكنها تحب أخي الاكبر وتحاول جاهدة على أن تحول ديانته، هذا كل ما حدث ولكنني الذي صدمتُ منه أن جدتي تكره امي حتى وهي متوفية فقد دبرت مكيدة في تلك الايام السابقة لكي تسقط حب أمي الذي نما في قلب أبي، ولكنها وبعون الله ظهر مكرها وعلم أبي أنها تكذب.
-الحمد لله ولكن ما رايك أن تحفظ القرآن الكريم؟
-هذا مناي ولكن كيف؟

-أولاً لا بد من الثقة بالنفس والإصرار والعزيمة وبعد ذلك توجد خطة تحفظ القرآن في أربع سنوات، أنت الآن كم عمرك؟
-اثنا عشر عام.
-تمام، عندما يصبح عمرك ستة عشر عاماً تكون قد أتممت حفظه كاملاً.
-ومن هو الذي سأحفظ على يديه كتاب الله؟
-أنا من سيحفظك بإذن الله.
-بارك الله فيك، ولكن متى سنبدأ؟
-سأقوم بتبليغك عندما يحين الوقت، والآن سنغادر فلقد قاربت الساعة على الثامنة؛ لأن صديقي ينتظرني بعد قليل، هيا بنا.
ارتد مؤمن إلى بيته، وأنا وقفت عند بيتي منتظراً سعيد، وبعد لحظات، جاء سعيد ببدنه السمين، ومنكبيه العريضين، ومرحه الذي لا ينطفئ، حاملاً طفله ذو العامين، فقد كان الطفل لطيفاً، حسن الطلعة، ولكنني ليس مشتاقاً إليه بحجم اشتياقي لوالده.
أخذتُ صديقي بالأحضان، وضربته على كتفه بخفة وقلت:
-أين أنت يا رجل؟
-في هذه الحياة.
-أخبرني متى ستنتقل إلى بيتك الجديد، سيكون هذا الأمر مفيد لدي كثيراً، ستكون صديقي وأخي وجاري.
-شهر إن شاء الله وسأكون في وجهك طوال الوقت، ستمل مني وقتها.
قلت ضاحكاً:
-وهل يمل الأخ من أخيه في الله؟ ، و من ثم فإن زوجتي اشتاقت لزوجتك كثيراً.
-لا تقلق سنأتي لزيارتكم قريباً، ولكن ماذا سيكون عشاءنا؟
-أنت دائماً نفسك مفتوحة على الطعام، ولكنني سأكون كريماً معك، وأي شيء تريده سأحضره لك، لا تقلق.
انتهت المقابلة وتوجه سعيد إلى بيته، أما انا فتوجهتُ بعدها على السوق لأشتري بعض الأشياء بمفردي.

(نبض)

نامت رزان بعد أن عشيتها وتوجهت إلى المطبخ لأعداد العشاء .

انتهيتُ من تحضير العشاء وبعض أنواع الحلويات وبعدها جلستُ عند عمتي وخالي ننتظر مصطفى وما هي إلا لحظات وباب البيت يُفتح .

دخل مصطفى بابتسامته المعتادة والتي تبرز أسنانه التي تبدو كحبات اللؤلؤ ومعه عدة أكياس وألقى بالسلام ومن ثم جلس على الكنبة البنية.

فقلتُ:

- مصطفى ما هذه الأكياس.

فقال بمكر:

- احم، احم العشاء أولاً.

فنهضنا باتجاه المائدة وكان مصطفى أولنا شبعاً ،ومن ثم غاب برهة من الزمن ثم أتى والاكياس معه وهو يتنحنح ويقول:

-أمي ،غاليتي.

فاستدارت إليه عمتي فأخرج من الكيس الاول ثوب فلاحي أسود اللون تزينه نترات بلون أحمر وفي جانبه فنجان عليه صورة عمتي وصورة عمي رحمه الله فقامت عمتي بسرعة واحتضنته وقالت:

- سأفتقدك كثيراً يا بني لكنني وبعون الله لن أنساك ستبقى في الذاكرة دوماً يا عزيزي.

وبعدها أخرج مصطفى من الكيس الأخر قميص أبيض اللون لخاله فشكره خاله بلطف.

ومن ثم أخرج فستان زهري اللون يزينه في الوسط ورد صغير الحجم

فطار قلبي فرحاً ونهضتُ من مكاني لأحتضنه فأوقفني قائلاً:

- انتظري لا تفعلي شيئاً.

فدهشتُ من ردة فعله وخيم علي ما يشبه الحزن ولكنني سريعاً ما تذكرتُ أننا لسنا وحدنا فليس من المعقول أن أحتضنه وخاله موجود، فجلستُ وأنا في موضع حرج.

انتهينا من العشاء ومن ثم توجه كل واحد إلى غرفته وبقيتُ أنا ألملم الأطباق لأقوم بتنظيفها.

بدأتُ بتنظيف الأطباق وأنا أنشد وعندما انتهيتُ من الأنشودة سمعت صوتاً يقول لي:

- ما شاء الله ما هذا الصوت الجميل!

احمرت وجنتاي وقلت بدهشة :

- متى جئت؟
- عندما بدأتي بالنشيد، ولكن الأن هل تحتاجين مساعدة؟

قال ذلك وهو يتقدم نحو الأطباق وأمسك بها ليساعدني، فحمدتُ الله لأنني كنت ناعسة العينين.

انتهينا من التنظيف ومن ثم توجهنا إلى غرفتنا منهكة أريد النوم وبسرعة ذهبتُ للسرير فقال مصطفى:

- انتظري.
- ماذا بك ؟ هل تريد شيء؟
- نعم اقتربي مني.
- حاضر لكن لماذا؟

فلم يجبني فاقتربت منه فأمسكني بيد من وسطي واليد الأخرى وضعها على إحدى وجنتي فرحتُ لذلك لكنني في نفس اللحظة جعلتني هذه

الحركات أطرق خجلاً مع أننا متزوجين منذ ستة سنوات وقال لي بصوت كأنين الوتر يحمل في طياته الحب والحنان:

- سامحيني يا حبيبتي على غلظتي معك في الأيام السابقة، أنا أحبك، والذي يحب أحداً لا يجب أن يكون فظاً غليظ القلب، سامحيني إذا أخطأت معك، أو قمت بجرح قلبك، هذا وعند سماع هذه الكلمات أوقفته والدمعة معلقة في عيني وقلت:
- لا بل أنا من سيطلب منك السماح، أحببتك دوما، كنت قدوتي، علمتني وحفظتني أشياء كثيرة، وعلى رأسها القرآن الكريم، أنا فخورة جداً بك، فخورة بحافظ قرآن مثلك، يحفظ القرآن في قلبه، وفي كل حركة يقوم بها، أنا فخورة بحافظ يحفظ القرآن برقم صفحته ورقم آيته وبأحزابه وعدد آياته.
- وأنا فخور بك أكثر، أنتِ كنتِ سندي، كنتِ أملي بعد ربي، كنتِ دائماً تشجعينني.

وقمنا بعناق بعضنا البعض فترة ليست بالقصيرة، وأمسكتُ برأسه وأخذت انظر في عينيه وقلت:

-أحبك.

-وأنا أحبك اكثر.

في صباح اليوم التالي استيقظنا جميعنا، فاليوم ستسافر عمتي وخالي وبسرعة قمتُ بتحضير طعام الإفطار.

وبعدما انتهينا من الطعام، خرج كل من عمتي وخالي بعد أن ودعناهم ومن ثم أسرع مصطفى إلى النافذة وقال كالأطفال:

-أمي، أمي، ستأتين مرة أخرى أليس كذلك؟

فنظرت له عمتي نظرة حزن وقالت:

-بلى، عندما تتاح لي الفرصة ستجدني فوق رأسك.

-ننتظرك بفارغ الصبر يا غالية، في رعاية وحفظه.

(مصطفى)

مرت الأيام سريعا ولكن الحياة لا تبقى على وتيرة واحدة فاليوم سيكون صديقي وأخي الذي لم تلده امي ساكنا بجوار بيتنا كم أنا سعيد لذلك .

فأخرجت هاتفي لاتصل عليه لأخبره بانني سأذهب إليه ولكنني ارجعته وقلت لماذا لا تكون مفاجأة له؟ وبالفعل جعلتها مفاجأة له.

ذهبت إليه مسرعا وكانت زوجته ليس موجودة فاغتنمت الفرصة لفعل مقلب لا ينساه أبدا في حياته فقدكانت سيارته الحمراء قريبة من باب بيته الجديد ولحسن الحظ كان في حوزتي نسخة من مفتاح سيارته ففي البداية دفعت السيارة من غير تشغيلها وبعدما ابتعدت عن بيته شغلتها قاصدا الذهاب إلى بيتي وبالفعل قمت بركنها في الحاصل الموجود تحت بيتي ورجعت إليه فوجدته مرتدياً ملابس التنظيف الداخلية فتسللت إلى مكانه حذرا كي لا ينتبه لقدومي ومسكت رقبته وقلت:

-ما تستر حالك يا اخي.

فقام وهو بحالة يرثى اليها وقال:

-منك لله يا ابن محمود، ضللك المسني، مش حتعقل بالمرة.

فضحكت مستهزئا ولكنه اكمل قائلا:

-جيت والله جابك، هيا لننظف معاَ.

فضحكت وقلت مداعبا:

-نعم يا حبيب ماما، نظف لوحدك، بتفكرني أم مجاهد تتأمر علي.

فقال محذرا:

-مصطفى اهدأ بحكي.

-حسناَ حسناَ سأنظف معك ولكنني أعتذر لك لأنني نسيت أن أحضر لك هديتك.

فقال بمكر:

-لا بأس المرة القادمة لا تنسى سأذكرك بها ولكن لأنك ستتأخر في إحضارها فأنا كما اعرف انك تجيد كتابة الشعر فستكتب لي ولزوجتي شعرا وتحضره لي عندما تنتهي منه.

-تمام اتفقنا ولكنني لن أكتب لك سوى خمسة أسطر.

-نعم؟ ولا أقلك خمسة أحسن من لا شيء، اتفقنا ولكن في أي يوم ستحضرها لي.

-إن شاء الله في يوم ٢٠١٤/٧/٧م أكون قد انتهيت وأحضرها لك يعني أنني أحتاج فقط خمسة عشر يوما.

-سأنتظر ولكن على الله يكون جميل.

-لا تقلق ولكن دعنا الأن نكمل التنظيف.

مرت السويعات سريعاَ ورجعت الى المنزل أفكر ماذا سأكتب له ولكنني نسيت أن أساله ما اسم زوجته فلا بُد أن أتصل عليه

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام" الحقت تشتاق"

-كلا ولكنني نسيت أن أسالك ما هو اسم غنيمتك؟

-غنيمتي؟ ماذا تقصد؟

-اقصد زوجتك.

-أه، اسمها أنين.

-نعم الاسماء، لا اله الا الله.

-محمد رسول الله.

(مؤمن)

جلست على الكرسي البلاستيك في حديقة المنزل القريبة من غرفة الضيافة والتي كانت تجلس فيها العجوزة واخي أتنصت ماذا يقولان فإذا بجدتي تقول:

-في الأساس الدين النصراني قبل الاسلام، الدين المسيحي رحيم وأيسر من الدين الاسلامي، كل ما يحلو لك وكل ما يحبه قلبك حلال في ديننا ماذا يوجد فيها إن دخلت الدين المسيحي.

وعندما سمعت هذا شهقت ولكنني تمالكت نفسي على مضض حتى لا يتكشفان بأني استمع إلى حديثهما والذي صعقني أكثر رد أخي الذي قال:

-صحيح سأدخله وبعد ذلك سأفعل كل ما يحلو لي فأنا بعد الأن معك يا جدتي و من غدا ستعلميننني الطقوس الدينية المسيحية.

تمنيت حينها أن أصرخ صرخة وأن اخرج كل ما في قلبي من حزن وخوف وشفقة يا ليت الأرض انشقت وابتلعتنِ خير من اسمع كلمات أخي هذه فأنا لم أكن أتوقع أنه سينهزم أمام شهواته بتلك السهولة على الرغم من أنها منذ فترة وهي تحاول أن تغير دينه وأنا احذره ولكن دون جدوى يا لها من مصيبة جدتي وأخي مسيحين كيف سأعيش معهم في البيت لا بل كيف سيتحمل فؤادي الصغير رؤيتهما وهما يخرجان عن طريق الهداية ويغوصان في طريق لانهاية له الا نهاية واحدة وهي النهاية المعروفة بقسوتها إنها النار.

تدحرجت دمعة شفقة على حاليهما تبعها بحر من الدموع فكيف لو علم أبي بالأمر ماذا سيفعل حينها سيجن سيجلط لأن أمه تخون الأمانة والوعد الذي

أعطته لأبي، ولكن ألم يعدها أبي بأن لا تتعرض ولا تحاول أن تغير ديننا ولكن الأن ما هو الحل؟ ماذا سأفعل ؟

فكرتُ ملياً ماذا سأفعل ولكنني لم أجد سوى أن أذهب إلى أبي مصطفى فعنده الدواء، نعم سأذهب إليه وأحدثه عن كل ما جرى وأستفسر ثانية عن التحفيظ، فقمت بربط حذائي وتوجهتُ نحو بيته .

طرقتُ باب بيته فخرج لي مصطفى وكان يحمل في يده دفتر وقلم فشعرتُ بالإحراج وقلتُ:

- أنا أسف على إزعاجك يا أبي ولكنني أشعر بالقلق ولا أثق إلا بك.

فضمني إلى صدره وقال لي بحنان:

- وهل يتأسف الابن لأبيه تعال يا حبيبي.

ودخلنا إلى ساحة الفناء وجلسنا ومن ثم قال لي:

- قبل أن نتحدث ماذا تريد أن تشرب؟
- لا أريد شيئاً.
- وهل يعقل هذا.

ثم نادى على زوجته وطلب منها أن تعد لنا الشاي، وجلسنا وبدأتُ أسرد له كل ما حدث ووجهي يتورد خجلا، فضرب على كتفي مطمئناً إياي و قال:

- لا تقلق سنجد حلاً لهذا الموضوع أما بالنسبة للتحفيظ ففي يوم ٧/٨ /٢٠١٤م سنبدأ بأذن الله وسيكون الأيام كلها ما عدا يوم الجمعة فسيكون درس ديني وبعد الدرس قراءة سورة الكهف.
- وفي أي ساعة سيكون.
- بعد صلاة الفجر مباشرة.

أردتُ أن أقوم فربت على كتفي وقال:

- لا تنسى الصبر فبعد الضيق لن يكون إلا الفرج، في رعاية الله.

- في رعاية الله.

رجعتُ إلى البيت وأنا انقل خطواتي بتثاقل ولكنني وبالرغم من كل هذا الألم عندما التقيت بالشيخ ارتحت بعض الشيء.

(مصطفى)

جلستُ أفكر بعدما رحل مؤمن، كيف سعيد لم يكشف خطتي حتى هذه اللحظة؟ لابد أنه لم يكمل بيته على أحسن وجه وما هي إلا لحظات والهاتف يضيء برقم "حبيبي سعيد" فقلت في نفسي هل أرفض اتصاله أم أرد عليه وفي نهاية المطاف قررت أن أرد عليه وما أن فتحت الخط حتى سمعت صوته وهو يتوعد ومن دون مقدمات ويقول:

- "والله يا ابن محمود شعر راسك لأنتفه بيدي أين سيارتي؟

فقلت بحزن ودهشة مصطنعين:

- ماذا؟ سيارتك؟
- " الله ها الله تتهبلش علي"

فقلت بعصبية مصطنعة :

- اهدأ وهل في هذا الامر تهبل، ماذا جرى لك؟
- حسنا، سلام .

وبعدما انتهيت من مكالمتي سمعت صوت السيارة فقفزت مسرعا وأنا احدث نفسي وأقول:

- يا ورطتي لو سُرقت فمن غير المعقول أن يكون سعيد لأنه لم يراني.

وصلت اخيرا إلى الحاصل فوجدت سعيد وعندما رآني انطلق نحوي كالوحش وامسك بأذني وقال:

- " هل أشلع أذنك الأن أم ماذا أفعل"
- كيف جئت إلى هنا وبهذه السرعة.

- كل انسان وله قدراته.
- بدون مزح ، كيف جئت بهذه السرعة.
- يا مجنون كنت أهاتفك وأنا أقف هنا فقط لأني أردت أن أعرف ماذا ستكون ردة فعلك أيها الاستاذ فأنت لا تحسب حساب صاحب الفخ الحقيقي ففي كل مرة تغلبني بأفكارك التي لا أعلم من أين تأتي بها اما هذه المرة فأنا من غلبك.

فنظرت له بمكر وقلت:

- على فكرة بدأت اكتب لك ولكن ليس شعرا.
- ليست مشكلة أي شيء المهم أفرح حبيبة قلبي.
ونظر إلي وكانه يغيظني.
- فرحها يا اخي فرحها يلا سلام.

(مصطفى)

مرت الأيام بلياليها سريعا مثل البرق فاليوم ٢٠١٤/٧/٦م ، ولا بد أن أنهي اليوم الخاطرة لأن موعدي مع سعيد غدا وما هي إلا دقائق والهاتف يضيء باسمه فقلت:

- السلام عليكم .
- وعليكم السلام
- ماذا فعلت ؟ هل جهزتها موعدنا غدا.
- لا تقلق غدا تأتي لأخذها.

انهيت المكالمة سريعا فلم يكن لدي مزيد من الوقت وانسجمت في الكتابة.

مر اليوم وكانه سويعات ومرت السويعات وكأنها دقائق وجاء اليوم الموعود يوم ٢٠١٤/٧/٧م.

دقائق وسيكون سعيد جالسا عندي، جهزتها بشكلها النهائي و اشتريت ورقة بيضاء يتوسطها قلب لونه أحمر وكتبت الخاطرة فيهاوجلست أنتظر سعيد.

دق الباب فأخفيت الورقة وتوجهت نحو الباب مسرعا بوجه عابس وعندما استقرت عيني بعينه قال بلهفة:

- هل كتبتها؟

فقلت بيأس:

- للأسف لم أكتب منها سوى سطر واحد.

فقال منفعلا:

- ماذا؟ وماذا سأقول لزوجتي أخبرتها بأن لها مفاجأة يا إلهي سأبدو الأن صغيرا في عينها.

فضحكت مستهزئا وقلت:

- أهدا، لن تكون صغير.

واخرجت الورقة وقلت له:

- أريد أن اسمع القاءك الأن قبل أن تذهب إلى زوجتك.
- حسنا، احم، احم.
- احكي يا ابني وخلصني.

فابتسم ابتسامة ملأت وجهه وأخذ الورقة وبدأ بقراءتها وكانت كالتالي:

في يوم الثلاثاء في التاسع والعشرين من شهر فبراير...

اتذكر تلك اللحظات الجميلة والتي كانت الفرحة تغمر فؤادي وتغمر عائلتي...

حينما تقدمت لخطبة تلك الفتاة الجميلة الخلوقة والتي تدعى "أنين"...

فمن أول نظرة لها شعرت وكأنها عالم يسبح في فضاء قلبي ...

رقص فؤادي طربا لابتسامتها وخلقها الرفيع ...

حيث انها كانت بهية الطلعة ...حسنة الخلق...جامعة لتلك الصفات السامية ...

وازداد قلبي رقصا وفرحة حينما أعلن والدك الكريم بقبوله لي كزوج صالح لك...

ومن ثم ارتباطي بك على سنة الله ورسوله ...

وإليك تلك العبارات المفعمة بالحب والوفاء...

زوجك ومحبك الأبدي سعيد (أبا مجاهد).

انتهى سعيد من قرأتها فسألته :

- هل أعجبتك؟
- نعم أشكرك على هذا الإبداع والأن دعني أذهب إليها لأنها تنتظرني.

وفتح الباب وانطلق بسرعة كسرعة الريح.

ومن ثم ذهبت إلى غرفتي فوجدت زوجتي جالسة على التلفاز وتشاهد قناة الاقصى الفضائية وما هي إلا سويعات قليلة وإذا بدوي انفجار يسمع في أنحاء المدينة، بقيت ممددا لأنني خمنت أنه من الممكن أن يكون تصعيد في سويعات قليلة وبعد ذلك سيعم الهدوء قطاع غزة ولكن أصوات الانفجارات تتوالى، فنهضت أجهز أغراضي فأنا أنتمي لكتائب القسام ومن الممكن أن يعلنوا النفير العام في أي لحظة.

بدأت أجهز أغراضي وزوجتي تنظر إلي بعينين فيهما دمعتان متعلقتان ثم قالت بأسى:

- هل ستخرج ؟ هل ستتركني وحدي؟
- أهدي يا بنت الناس، لا لن أتركك ولكن تحسبا لأى طارئ.
- إن شاء الله تمر الأمور على خير وسلامة لنا ولكل أبناء شعبنا.

وما هي إلا لحظات وإذا بهاتفي يرن فكلمت المتصل وكان الهدف من هذا الاتصال إخباري بإعلان النفير العام فنهضت وبسرعة أكملت تجهيز أغراضي ثم ذهبت لتوديع زوجتي فأمسكت بيديها وقلت:

- لقد أحببتك طوال عمري وما زلت أحبك وأفتخر بك وبحبي لك، أنا طالع يا نبض فلم يعد هناك أي وسيلة للخروج من حالتنا الراهنة الا عن طريق صياغة الطريق نحو هدفنا بعنف وقوة على بحر من الدم وبحدة أفق مشتعل بالنار فسامحيني بحقك إذا ظلمتك.
- هل تتذكر يا مصطفى عندما كان لنا أول يوم في خطوبتنا ماذا أهديتني؟ لقد أهديتني وردة جورية حمراء ورصاصة بجانب دبلتي ودبلتك وقلت لي: أنا في أي يوم سأتعرض لتلك الرصاصة اللعينة ولكن الوردة ستكون رمزا لنا وللحب الذي لا نهاية له. وبعدها اعطيتني ورقة مكتوب عليها بيتان من الشعر من تأليفك عندها قلت لي أن اقرأ البيت الأول والثاني ستقرأه أنت، سنقوم بقراءتهم الأن ثانية فقلت:
- أيا نبض القلب أقبلي فانا بانتظارك طول السنين.

ثم قال زوجي:

- هلي علي بالقبلات والا فان فؤادي سيكون حزين.

ثم طبعت نبض قلبي قبلة على احدى وجنتي وأخرى على جبيني ومن ثم تابعت قائلة:

- أنا يا مصطفى أحببتك دوما، أنا لا أكره الجهاد بل أحبه فمنزلته عند الله عالية ولكن يصعب على نفسي الفراق فقط، وأود أن أخبرك انك كنت بعد الله سندي وما زلت أنت نافذتي على الحياة ودائما تشعرني بالحب والحنان أرجوك لا ترتحل سيعز فراقك علي كثيرا وسأصبح جسد بلا روح وروح بلا روح، أنا يا مصطفى سألد بالأيام القليلة القادمة ماذا تريد ان نسمي طفلنا؟
- فليكن سلام.

- فليكن له من اسمه نصيب وليكن سلاما لك ولأبناء شعبنا ووطننا، سامحني.
- سامحتك يا مهجتي.

ثم قمنا بعناق بعضنا البعض ودموع نبض تجرى على مقلتيها فمسحت دموعها وقلت:

- لماذا تبكين سأنال أحدى المرتبتين الشريفتين فإذا مت سأموت شهيدا وإذا حييت فسأكون بطلا.

ثم ذهبت إلى طفلتنا النائمة وودعتها.

ومن ثم قلت لزوجتي: أخبرني سعيد أن زوجته ستأتي لتمكث عندك خشية من أن يأتيك المخاض.

وبعدها انطلقت وعين الله تحرسني وترعاني ... إلى بيت سعيد لأخذه ونذهب إلى مكاننا المحدد فسمعت من على عتبات الباب صوت بكاء ابنه الصغير وصوت شهقات وعلى ما يبدو أنها شهقات زوجته، فطرقت الباب فخرج لي سعيد وهو حزين فلم تتم مفاجئته على أكمل وجه فرحا لأنه من المحتمل أن يقابل الله الذي اشترى أرواحنا لتكون الجنة التي فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقلت:

- زوجتي ستلد قريبا إن مت فسيُلد بطلا أخر وسيأخذ مكاني وإن حييت فسنصبح بطلان ولكن الذي يؤلمني أنني لن اكون معها حينما تلد ولست انا من سيؤذن في اذن طفلي.

ولكن على أية حال هيا بنا لنصل إلى أماكننا بسلام وبعدها نتحدث.

(انين)

قمت بغلق البيت بعد أن رتبته وأخذت ملابس لابني مجاهد وذهبت إلى بيت نبض.

طرقت الباب فسمعت من خلف الباب صوت يرد بكلمة واحدة "من" فقلت:

- زوجة سعيد " انين"

فتحت الباب صديقتي فقد كنا نعرف بعضنا البعض منذ أربع سنوات ولكن صداقتنا وعلاقتنا لم تتطور إلا عندما تزوجت بسعيد.

استقبلتني استقبالا حارا ورحبت بي ترحيب بليغ، وبعدها ساد صمت طويل ممتزجا بأنواع كثيرة من الخوف والقلق ولكننا لن نستسلم فقط الأن يلزمنا الجرأة والشجاعة فنحن نسكن في المناطق الشرقية "الشجاعية" والمناطق الحدودية قريبة منا فقلت:

- نبض نحن لا نعلم ما المكر الذي يمكروه لنا فلذلك جهزي كل الأوراق الضرورية وكل ما تحتاجينه وأنا سأذهب إلي بيتي و أجهز أغراضي لأحضرها إلى هنا تحسبا لحدوث أي شيء.

فأومأت برأسها موافقة وخرجت مسرعة وأحضرت كل ما أريده ومن ثم عدتُ إلى بيت مصطفى فوجدت أنين قد جهزت كل ما يلزمها.

مر الوقت ودخل وقت صلاة الفجر فنهضت و بدأت بصلاة خاشعة انهمرت خلالها الدموع عندما بدأت أدعي لزوجي وللمجاهدين بأن يثبت الله خطواتهم وبأن يكون معهم.

وما أن انتهيت من الصلاة حتى سمعت صوت أحدهم يئن يا إلهي أنها نبض فتوجهت إلى غرفتها بسرعة فوجدتها تبكي وتئن من ألم المخاض فعلمت أنها ستلد اليوم بمشيئة الله والحمد لله ستلد وستولد الفرحة في قلوبنا من جديد بعدما استحوذ عليها الخوف والحزن.

اتصلت بأخي معاذ ليأتي و يأخذ رزان ومجاهد والأوراق الضرورية إلى بيت أهلي وذهبت أنا ونبض للمشفى لتلد.

وأخيرا وصلنا المشفى بعدما مررنا من تحت القصف إضافة إلى الرعب الذي ملأ قلوبنا ...

دخلت نبض مباشرة إلى غرفة الولادة وأنا وقفت على الباب انتظر .. تباَ لك أيها الزمن الأن تمشي ببطء وتتخلى عن طبعك المتعجل، رباه أنا لم أعد قادرة على التحمل أكثر.

انتظرت برهة من الزمن وبعدها جاءت الممرضة تزف إليّ خبر ولادة نبض فقفزت بسرعة إلى الغرفة المتواجدة فيها ودخلت فوقعت عيناي على طفلها مباشرة المستلقي بجانبها بجسمه الصغير فقد كان جميل المظهر ومحياه مفعم بالبراءة فقلت بصوت منخفض:

- ما شاء الله يا لك من فتاة محظوظة يا نبض.

فقالت بتنهد وهي تمسح على شعر طفلها وكأنها تخاطبه:

- يا ليت أباك كان هنا.

ودخلت في بكاء هستيري، فقلت في نفسي:

- يا رب أنا لا أستطيع أن أتمالك نفسي فكيف لي بمواساتها.

فقلت لها وقلبي يتقطع ألما:

- ما هذا الذي تفعلينه في نفسك؟ "ارحمي حالك" الأن انتبهي لنفسك جيدا أما بالنسبة لمصطفى فسيرجع بأذن الله.

فقالت بصوت تزينه بحة لطيفة وهي تنظر إليّ بعينيها الحمراويتين المدفونتين من كثرة البكاء:

- يا ليت ولكنني اخشى ان افارقه.
- يا اختي "استهدي بالله" المشفى مليئة بالعملاء والناس، كفى.
- حاضر ولكن أرجوك تحدثي مع الدكتور لأخرج اليوم من المشفى.
- تمام ولكن أرجوكِ التزمي بالهدوء.

خرجنا من المشفى بعدما اطمئن الطبيب على صحة نبض وسلام وبعدما سمح لنا بالخروج.

وعندما وصلنا إلى البيت قررنا البقاء فيه أما الاطفال فقد قررنا بقاءهم عند بيت أهلي لأفرغ نفسي للاعتناء بنبض وطفلها.

(مصطفى)

خرجت أنا وسعيد فاليوم هو منى كلانا، سنلحق الخزي والعار للاحتلال الاسرائيلي وسنعيد أمجاد الدولة الفلسطينية حتماَ.

ونحن في طريقنا للعملية قال سعيد:

- " يا الله كم متحمس وربي الجنود الي يقعوا تحت ايدي الرحمة ما يشوفوها".

ثم صرخ بصوته الجهوري وقال: قادم يا ابن اليهودية، أنا قادم.

اقتحمنا موقع العدو وقتلنا ما فيه من جنود وبالفعل كان سعيد شرس في القتال وبعدها اخذنا كل ما فيه من ذخيرة ومعدات وخرجنا منتصرين قاتلين (٢٥) نجس يهودي وليجروا هم أذيال الخزي والعار.

(نبض)

* الأحد

* ٢٠ /٧/ ٢٠١٤م.

جلست أنا وأنين نتابع التلفاز و بانسجام لمشاهدة القائد القسامي الكبير "أبو عبيدة" ماذا سيقول. وبعد لحظات ظهر ومعه بشارات الخير فقد أعلن عن

خطف جندي صهيوني يدعى" شاؤول آرون" صاحب الرقم "٦٠٩٢٠٦٥".

فنهضت من مكاني وعزمت على الذهاب لبائع الحلويات لأشتري "كنافة نابلسية" فاليوم ستأكل كافة أرجاء الشجاعية كنافة بمناسبة هذه البشرى، ثم تنهدت وقلت وأخيرا يا أخي الحبيب ستخرج من الأسر، سأكحل عيناي برؤيتك من جديد بعدما حُرمت منك ثمانية أعوام، ستذوق طعم الحرية بعدما سُجنت وأُبعدت عن العالم البشري وأخيرا سترى أشعة الشمس التي لم تراها منذ سبع سنين، اصبر يا أخي فلن يتعذب جسدك المنهك بعد ذلك، ستخرج قريبا، لن تعاني ثانية من البرد وعندما تخرج سنتكلم وبطلاقة ولن تخشى شيئا بعد ذلك فقط اصبر يا حبيب فؤادي.

انتشرت الأجواء الرائعة رغم القصف ورغم طائرات العدو التي تحلق في سماء قطاعنا.

بدأت الناس تزغرد وتهلل وفتحتُ تكبيرات العيد وقمت بتوزيع الكنافة النابلسية... ومجموعة من الشبان الثائر قامت بتوليع الالعاب النارية ... وأخيرا جاءت فرحة فشت الغل الذي يوجد في قلوبنا ولكن "لكن" هذه هي الكلمة اللعينة التي دائما توترك، تشعرك بأن شيئا خطيرا سيحدث وهذا ما حدث فالقوات الإسرائيلية لم تتحمل الهزيمة وبدأت بالقصف العشوائي وخاصة المنطقة التي كُشفت أن الجندي خُطف منها وهي المنطقة التي نسكن بها.

قصفت الطائرات الإسرائيلية عشوائيا حتى أننا لم نستطيع الخروج ولا المكوث في نفس الوقت وبعد برهة قصفت صاروخا تحذيريا بجانب المنزل ولم نستطيع أخذ أي شيء بل فررت بثوب الصلاة أما انين ففرت بملابسها التي كانت ترتديها والناس في الخارج قاموا بسترها ولكن يا لمصيبتي لقد نسيت طفلي فقلت:

- أنين لقد نسينا سلام سأرجع لإحضاره.
- الأن سيقصف المنزل وتموتان معا.
- أموت أنا معه أهون على جناني من أن يموت وحده.

ارتديت إلى البيت وأنا ارتل آيات من القرآن الكريم وأستودع البيت وما فيه واتضرع إلى الله بأن يجعل على أبصارهم غشاوة والحمد لله دخلت وأحضرته وعندما أحضرته أحسست أن روحي عادت لجسدي ولكن جزءا تبقى منها مع مصطفى.

(سعيد)

جلست أنا ومصطفى وسط النفق، وأنا اشعر بالملل فقد كنت أرغب في أن لا أجلس ثانية واحدة وأنا فارغ هكذا، أتمنى أن تكون حياتي كلها جهاد وعمليات ليس لسفك الدماء بل لإعلاء كلمة التوحيد" لا اله الا الله" وتحرير القدس الحبيبة وكبح الفساد.

ومن ثم أخذت أتأمل النفق بكل ما يحتويه وفجاءة جاء اخي "بلال " مهرولا وخبرنا بخبر خطف الجندي فنهضت وقلت:

- " الله ها الله هل سمعت يا اخي؟
- نعم ، سمعت.

وقمنا بعناق بعضنا البعض وبدأنا بالتكبير والتهليل.

كانت لحظات جميلة جدا، بعدها أحسسنا بالراحة والحماس فقد أعطتنا شحنة لا نهاية لها لمواصلة طريقنا وبكل فخر وثقة.

(مؤمن)

مكثت في غرفتي وأمسكت بالقران الكريم بعدما صليت ركعتين دعيت خلالهما للمجاهدين بكافة الفصائل.

دخل عليّ أخي وقال بلغته مستهزئا:

- "مؤمن الغبي، عاملي حالك شيخ قوم بلا هبل كلما أدخل عليك أجدك تقرا فيه أرحم حالك عقدت نفسك"

فقلت له بصوت مفعم بالحنية:

- اتق الله يا أخي ألهذه الدرجة أنت غافل آما آن لك أن تعود إلى الله آما آن لك أن ترجع مستغفرا تائبا يا مهجتي، نحن في حرب والمحظوظ من يموت على حسن خاتمة اتق الله أرجوك لا أريد أن تفارق الحياة وأنت على هذه المعتقدات الباطلة.

- " بكفي أنا كل ما أدخل عليك بتعطيني موشح موعظة اسكت انت جاي تعدل علي مين قلك اني بدي اموت انا لسا في غز شبابي والمستقبل قدامي".

- فقلت مستعطفا اياه يا أخي الموت لا يعرف صغير أو كبير وفوق هذا الملك لا يأتي ويستأذنك ليقبض روحك والأن قل لي هل باستطاعتك عندما يأتي ملك الموت أن تقول له لا تقبض روحي؟
- لا أعلم، الرب يحميني ويجعل باستطاعتي أن اتقدم ساعة أو أتأخر.
- كلا، هذا ليس صحيح.
- وما هو دليلك على ذلك؟
- قوله تعالى" فإذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" الأعراف (٣٤).
- دين غريب، ديني أكثر يسراَوسماحة من دينكم ما رأيك أن تأتي يوم للكنيسة وتجرب؟
- لا أريد، لكم دينكم ولي دين.
- بس جرب.
- قلت لك لا أريد انتهى هذا الأمر هنا ولن يفتح ثانية هل فهمت؟
- فهمت ولكنك ستندم يا شيخنا.

انصرف أخي بعد أن ألقى بشواظه على قلبي فاضطربت النار في أحشائي وصار لا يقر لي قرار.

فجلست أحاسب نفسي وأقول: إن العبد الذي يحب ربه بصدق لا يجب أن يهتز من كلمة بل يجب أن يهتز ويكون رقيق عندما يسمع القرآن الكريم وبينما أنا جالس وأحاسب نفسي وقلبي يحترق من شدة القهر إذ بمفاجأة لم أكن أتوقعها أبدا أن تأتي في هذه الساعة أنها جدتي فنظرت إليها وقلت في نفسي: "كملت ما إلحقناش نتخلص من واحد اجتنا وحدة".

لم أكن ارغب بالحديث معها الأن ولكنني سلمت أمري لله وقررت أن أحادثها فقلت:

- ماذا بك يا جدتي؟ لماذا تقفين واجمة هكذا؟

فقالت بنبرة حنان كاذب:

- لا شيء.

ومن ثم قالت دون مقدمات:

- انت حبيبي أنا أحبك وأفتخر بك.
- ومن أين لي بهذا الحنان الزائد؟
- انت ابن ابني والمثل يقول " ما اغلى من الولد إلا ولد الولد" أنا أحبك وجئت فقط للاطمئنان عليك ولكن أخبرني يا فلذة كبدي ماذا كنت تفعل؟
- كما ترين كنت اقرأ القرآن.
- قرآن؟
- نعم ولماذا أنتِ مندهشة؟
- لا، لم أدهش القرآن وطن وأسفة إذا ازعجتك.

ثم تابعت قائلة:

- إذا احتجت لأي فأنا موجودة بإمكانك أن تأتي إليّ في أي وقت تريده فأنا جدتك لا تنسى.
- حسنا، حسنا يا جدتي.

ثم ارتدت إلى غرفتها وكنت أعلم أنها كاذبة في تصرفاتها فقد كانت تفعل نفس المواقف مع أخي الكبير وللأسف نجحت في تحويل ديانته والأن تحاول أن تحول ديانتي لتقف ضد والدي ولكن وبأذن الله الذي تريده لن يتحقق حتى ولو في الحلم.

(نبض)

أصعب لحظات وأنت تعيش في مكان ليس بمكانك ليست كراهية بل حب ووفاء للمكان الذي عشت وترعرعت فيه.

شعرت بهذا فقط عندما خرجت من بيتي إلى بيت أهل أنين فكيف وما هو شعور الأهالي الذين هجروا من بلدانهم بالكامل عام ١٩٤٨؟ومن ثم اخذت أفكر هل أصدق خدعة الاحتلال و ادعائهم بأنه وقت "هدنة" أم أكذب وهذا هو الأرجح لأن اليهود ليس لهم دين ولا ملة.

كذبت هذا الأمر ولكنني كنت مضطرة إلى أن أصدقه كي أذهب وأشم رائحة الشجاعية وأرى ماذا حدث لبيتي فالفراق أهدم كياني وأنخر قواي.

لبست حذائي وكنت على أتم الجهوزية لكي أتوجه الى بيتي وما ان وطأت قدماي عتبة البيت إلا و بأصوات الانفجارات تتعالى فعدت أدراجي يائسة حزينة لأنني لم أستطيع الوصول الى بيتي، إلى ذكرياتي مع مصطفى، إلى البيت الذي كان يملاه ويحتويه العشق والرحمة، العطف والرأفة، الدفء والحنية.

أخذت أقلب في رأسي الماضي بكل ما يحتويه من ذكريات سواء كانت سعيدة أم حزينة ولكنها في النهاية لا تجدي شيئا فهي عبارة عن ذكريات كلما تهيج تيقظ في القلب الحنين والاشتياق فقط.

ثم أخذت أخاطب في سلام بعدما حولت نظري إليه وقلت:

- سلام لأجل الله اجعل لك من اسمك نصيب يا رب اجعل من اسم ذلك الطفل البريء السلام يسود ويعم في كافة المجتمعات الفلسطينية.

(مصطفى)

مرت الايام وكان كل يوم أصعب من أخيه لأننا في شهر رمضان وهل تعلمون ماذا كان فطورنا ؟

لقد كان فطورنا مثل سحورنا نصف ثمرة وسدة من الماء ولكن الحال لم يدم طويلا فقد شارف الماء على الانتهاء ولا نستطيع احضار أي شيء لأن النفق الذي نتواجد فيه كُشف أمره من قبل الاحتلال.
كدنا نموت عطشا ولكن وهل يترك الله عباده المخلصين في منتصف الطريق؟
تفجرت الارض وأخرجت لنا الماء فلما رأيته دهشت، صدمت، فسجدت شكرا لله وانطلقت نحوه والحمد لله شربوا أخواني المجاهدين وشربت أنا وسعيد وصدق الله الذي قال في كتابه الكريم " وجعلنا من الماء كل شيء حي" الانبياء (٣٠)

روينا ظمئنا والأن يجب علينا أن نجد طريقة لنخرج ونتجهز للعملية القادمة والتي ستكون قريبة.

(سعيد)

* السبت.

* ٢٠١٤/٨/٢٣.

خرجنا للعملية أنا ومصطفى سويا ونحن في الطريق قال مصطفى:

- سعيد، سامحني يا أخي فأنا ذاهب ولا أعلم إن كنت سأرجع أم لا و اما بالنسبة لأهلي فإن مت فهم أمانتك ووصل سلامي لهم.. وإن كانت نبض قد أنجبت سلام فقبله بالنيابة عني.
- لا تقل هذا، نحن سنثخن في العدو وسنرجع سالمين إن شاء الله ولكن دعك من هذا الأن فأنا سأذهب لأزرع اللغم تحت الدبابة وأنت ستقوم بالتغطية علي إن كُشفت.
- فلتمضي على خير ان شاء الله.

بدأت العملية ولكن يبدو أن عميل تتبع خطواتنا على الرغم من حرصنا الشديد الامني فلقد ذهبت لأزرع اللغم حتى بدأ الرصاص الحي يطلق اتجاهي وبدأ مصطفى بالتغطية علي.

انتهيت من مهمتي وعدت إلى حيث يوجد مصطفى فوجدته ملقى على الأرض والدماء بحر من حوله فقلت بنبرة دهشة:

- ماذا جرى لك يا مصطفى؟

فقال و هو يتأوه من الألم:

- تصاوبت يا أخي.
- أين هي اصابتك لأعمل على ايقاف النزيف فالظاهر انك فقدت الكثير من الدماء.
- في رجلي ويدي ولكن الأن سنذهب للنفق قبل أن يتم الامساك بنا ولكن ليس النفق الذي كنا فيه بل النفق الذي يوجد في الجهة الشمالية.

وبالفعل ذهبنا للنفق الذي يوجد في الجهة الشمالية وعملت جاهدا لإيقاف النزيف وبالفعل أوقفته ولكنه يحتاج إلى طبيب لأنه مصاب برجله اليسرى وبيده اليمنى ولكنني حتما سأجد طريقة لإخراجه من هنا ليتلقى العلاج في المشفى تحت رعاية الله ومن ثم رعاية الاطباء.

مرت أربعة أيام ومصطفى حالته ليست على ما يرام بل تتدهور للأسوأ ولكن ما العمل إنه من الصعب علي تحمل رؤية صديقي ورفيق دربي يموت وأنا لا أستطيع فعل أي شيء سوى الدعاء ولكن الله لن يخيب عبداً ترجاه كثيراً، دعاه آناء الليل وأطراف النهار.

(نبض)

* الثلاثاء.

* ٢٠١٤/٨/٢٦.

نادت عليّ أنين بصوت يطرق مسامعي وبحدة فأتيت مفزوعة وقلت لها بلهفة:

- ماذا حدث؟
- زغردي انتهت الحرب.
- هل انت جادة ؟
- نعم.

وأمسكتني من يدي وأدخلتني عند التلفاز فوجدت أن الحرب بالفعل انتهت فلم تسع الفرحة فؤادنا فاليوم سيأتي مصطفى وسعيد و خررنا ساجدين لله سجود الشكر.

عم الشارع الفلسطيني الفرحة لهزيمة الاحتلال وعلوا رايات النصر وأعلام فلسطين وانتشرت أجواء السعادة والتهليل والتكبير فلقد مرغت المقاومة الفلسطينية أنف وحدة قولان وجعلته في التراب وكان كل هذا بفضل الله ثم بفضل سواعد المقاومة.

ومن ثم قمنا بطلب سيارة أجرة بعدما انتهينا من ترتيب أغراضنا كاملة ونحن في الطريق رأينا ألاف المنازل المدمرة سواء كان تدمير جزئي او كلي و رأينا الأضرار التي خلفتها صواريخ الاحتلال.

شارفنا الوصول إلى الشجاعية وعندما رأيناها شهقنا جميعنا وقلت:

- أنين هل ترين أهذه الشجاعية أهذه المنطقة التي خرجنا منها يا ويلتاه أهذه المنطقة التي كانت متفتحة كالوردة التي تزينها البيوت وشجرات النخيل الواقفة بشموخ أين نحن ؟أنا لا أصدق ؟
- حسبي الله عليهم اليهود الظاهر أن هذا حدث عندما خُطف الجندي.
- ولكن بفضل الله لم يجدوه والأن هل يا ترى أي البيوت تهدمت وأيهم بقيت.
- العلم عند الله دقائق ونعلم.

وصلنا إلي أماكن بيوتنا ولكنني لم أعرف بيتي إلا من النخلة الباسقة والتي تقطن بجانب البيت أما بالنسبة لباقي البيوت فكلهم مدمرين دمارا شاملا ومن بينهم بيت سعيد الذي كان مهدما على بكرة ابيه فارتمت انين في أحضان بقايا المنزل تقلب الذكريات كما يُقلب الجمر فيشتعل نارا ثم قالت وهي تبكي:

- سعيد أين أنت، لن أستطيع الاجتماع بك بعد الأن في المنزل الذي أحببته ومن ثم صرخت وقالت: لقد تهدم أصبح فُتات.
- أنين كفى يا أنين ما هذا الصراخ والعويل أولا وثانيا الشقة التي فوق بيتنا فارغة ستسكنون فيها ولكن الغريب هو انهم قصفوا صاروخا تحذيريا بجانب البيت فلماذا تركوه؟
- من الممكن أنهم استخدموه.
- ممكن، والأن هيا إلى الداخل.

صعقنا عندما رأينا البيت فقد كان مقلوبا رأسا على عقب ومعلبات الفول والطحين وكل المواد الغذائية مسكوبة على الارض إضافة إلى الملابس فلقد تكومت كجبل أحد وقتها علمنا أن القردة والخنازير قد

دخلوا البيت وليس دخولا فقط بل مكثوا فيه بضعة أيام ولكن الأن هذا ليس وقته فيجب علينا تنظيف البيت وتلميعه قبل أن يأتيان.

انتهينا من تنظيف المنزل وبدأت كل واحدة منا بصنع الحلويات التي يحبها زوجها وما هي إلا لحظات قليلة حتى رن هاتف انين فانطلقت لترى من المتصل وبعد هنيهة ارتدت وهي عابسة الوجه فقلت:

- من المتصل؟
- رقم غريب رفضت أن أرد عليه.

وما أن انتهت انين من كلمتها إلا وعاود الاتصال مرة تانية وثالثة ورابعة وخامسة فغضبت انين وخرجت ودم وجهها يتصاعد فرفعت السماعة وقالت بصراخ:

- من انت؟ وماذا تريد؟
- سعيد
- سعيد زوجي ؟!
- نعم.
- أسفة لم أكن أعلم انك أنت والأن قل لي أين انت إلى هذه الساعة؟ ومتى ستاتي؟
- لن آتي.
- ماذا؟ هل انت مستغنى عني؟
- لا، لا تفهميني خطأ، مصطفى تصاوب وأنا في المشفى معه.
- ماذا؟ مصطفى تصاوب.
- نعم والأن يجب عليك أن تجدين طريقة لتخبرين زوجته وتعالا إلى المشفى حالا.
- والاطفال؟
- سأتصل بأخيك معاذ كي يأتي ويأخذهم إلى بيت أهلك.
- تمام، والحمد لله على سلامته.
- سلمك الله، لا إله إلا الله.
- محمد رسول الله.

🤍 🤍 🤍

(أنين)

مضيت حزينة لا أدري من أين لي أن أجد طريقة لإخبارها ودخلت المطبخ وأنا أتنحنح فوجدت نبض جالسة على بلاط المطبخ الابيض وممسكة في ذراعها قميص مصطفى وهي تبكي فجلست عندها وقلت:

- نبض.
- لا تتعبي نفسك أعلم أن روحي قد تمت اصابته.

قالت هذه الكلمات والدموع تتساقط على وجنتيها كحبات المطر ثم تابعت قائلة:

- يجب أن نذهب إليهم.
- هيا بنا.

وصلنا المشفى وبالتحديد الغرفة التي يوجد بها مصطفى. دخلنا بهدوء ولكن ما أن رأت نبض حبيب الفؤاد" مصطفى" لم تعد اقدامها قادرة على الوقوف فأمسكت بها و اجلستها على كرسي بلاستيكي بجانب سرير مصطفى وسلمت على سعيد وأخذت أنظر إلى عينه ومن ثم غمز لي سعيد وخرج ففهمت ما يرنو إليه فخرجت خلفه تاركين نبض ومصطفى لوحدهما.

🤍 🤍 🤍

(نبض)

لم يكن مصطفى بصحة جيدة وكان فاقدا للوعي، فلمست وجنتيه بحنان ومن ثم قلت:

- مصطفى ألم يكفيك هذا القدر من الغياب قم يا حبيبي عد لي بوجهك المشرق وابتسامتك الوضيئة قم يا حبيبي لا تستسلم لتلك الرصاصة

اللعينة اصبر، قاوم لأجلي، لأجل الحب الذي نما في قلبي، لأجل أطفالنا، لأجل سلام الذي لم يراك ولم تراه.

وما هي إلا دقائق معدودة وفتح مصطفى عينيه المنسدلتين ونادى بصوت منخفض: نبض حبيبتي.

- نبض فداك يا عشقي.

قطع حديثنا الطبيب الذي جاء ليطمئن على أحوال عزيزي وطلب مني الخروج فانتظرت على الباب عدة دقائق حتى خرج الدكتور فأوقفته بلطف وقلت:

- طمني يا دكتور كيف هي اصابته؟
- الحمد لله بدا يتحسن شهر إن شاء الله ويرتد كما كان بل أحسن.
- إن شاء الله.
- الحمد لله على سلامته.
- سلمك الله، شكرا للطفك.

وعدت بسرعة إلى الغرفة لنكمل حديثنا فأنا مشتاقة له كثيرا.

مر الوقت فخرجت لأرى سعيد وزوجته فهما على حالة لا تقل عنا بكثير فقال سعيد:

- لقد تأخر الوقت هيا اذهبا معا إلى المنزل أنا من سيبقى عنده.

فقلت:

- كلا، لن أتحرك ولن أخرج من المشفى إلا وهو معي.

فتدخلت انين وقالت: صغيرك سيتضور جوعا.

- لا لن يتضور جوعا لأن زوجة أخيك ستعطيه الرضعة الصناعية هيا اذهبا أنتما.
- نبض لا يجوز هذا الكلام.
- وفرا وقتيكما مهما تحاولان اقناعي فلن اقتنع.

- حاضر ولكن إذا احتجتِ لا شيء فاتصلي علينا.
- إن شاء الله، رافقتكم السلامة.

مر الليل بأكمله وأنا جالسة على الكرسي ومصطفى نائم فهكذا يفعل الشخص الذي يحب أحدا لا بل يعشقه.

بدأت خيوط الليل تنقشع وظهرت الشمس وهي تنسج خيوطها وأنا أنتظر مصطفى أن يستيقظ فأنا خائفة عليه كثيرا رغم أن الطبيب املأ قلبي بالاطمئنان.

(مؤمن)

اتجهت إلى الخزانة بعدما استيقظت باكرا وصليت الفجر وأخرجت من بين ملابسي "حصالة " فقد كنت أجمع فيها كل مالي إلى أن يحين وقتها والأن هو وقتها، وقتها تماماَ.

أحضرت المقص وقمت بفتحها فوجدت في داخلها ٣٠٠ شيكل فأخذتها كاملة وتوجهت إلى بائع الورود واشتريت خمسة عشر باقة ورد جوري أحمر وفي منتصف الباقة وردة جورية بيضاء ومن ثم أخذتها وتوجهت إلى المشفى مقررا زيارة خمسة عشر جريح.

دخلت المشفى وزرت اربعة عشر جريح وعند الخامس عشر طرقت باب الغرفة ففتحت لي امرأة أعرفها جيدا أنها زوجة مصطفى دهشت عندما رأيتها وانتابني الفضول ولكنني قلت في نفسي: لعلها جاءت لزيارة أحد أقاربها.

دخلت الغرفة ومعي أخر باقة من الزهور فنظرت إلى الجريح فإذا به "بابا مصطفى " فشهقت شهقة دوت أنحاء الغرفة وانطلقت نحوه وقلت:

- بابا مصطفى! هل انت جريح؟ سامحني لم أكن أعلم، بحثت عنك كثيرا ولكنني لم أجدك.

وأعطيته باقة الزهور ومن ثم طبعت قبلة على جبينه وقلت:

- ستحيا فلسطين بالأبطال أمثالكم.

(نبض)

* الخميس.

* ٢٠١٤/٩/١١.

خرجنا من المشفى بعد ان بدا مصطفى يتماثل للشفاء وبعد لحظات دق الباب فنهضت لفتح الباب فاذا به سعيد فرحبت به وادخلته الى غرفة الاستقبال عند مصطفى واتجهت بعدها لأعد واجب الضيافة.

(مصطفى)

جلست انا وسعيد نتبادل اطراف الحديث فقال سعيد:

- ما شاء الله لقد تعافيت سريعا .
- احم ، احم جسدي قوي يا خال ، اضافة الى ذلك اصابتي ليست خطيرة .

فقال سعيد بمرح:

- كنت بفكر أنو حاكل رز.
- "مستعجل على موتي مع أنو في شخص عند ما تصاوبت كان ملازم لي ويبكي علي بحرقة ويقول صاحبي وكأنه متأثر علي كثيرا.

قهقه ضاحكا وقال:

- بأمزح معاك انا ليس جاد في كلامي
- المهم سيبدأ التحفيظ غدا وستاتي لتساعدني أليس كذلك؟

- بالطبع ، والان سأكمل فنجان القهوة واذهب لأبعث لكل الاطفال والشباب الذين يريدون ان يحفظوا مسجات .
- بارك الله فيك يا اخي.

(مؤمن)

* الاثنين.

* ٢٠١٦/٦/٢٠.

جلست بعد الضهر في الحديقة بين الازهار والورود لأكمل وردي اليومي وكنت اقرا في سورة التوبة وكان اخي جدتي يجهزان انفسهما للذهاب الى حفلة مسيحية ماجنة وبعد وقت راهن جاء اخي وهو يقول :

- مؤمن حبيبي ما رايك ان تأتي معنا والرب هناك الجو رائع انت تضيع فرصة عمرك فكل ما يشتهيه قلبك تجده هناك تعال لن تندم.
- انا اذا اتيت معكم سأندم واشد الندم يا اخي ارجوك لا تذهب فاليوم ترفع الاعمال الى الله. هل تحب ان يرفع عملك الى الله وانت على هذه الحالة؟ هل تحب أن يراك الله في هذه الاماكن وانت تعصيه؟ تُب الى الله يا اخي.
- " حل عني "ان الله غفور رحيم.
- ولكنه في نفس الوقت شديد العقاب ألا تخشى مكر الله يا أخي ألا تخافه؟ الشباب وفي مثل عمرك تقدم أرواحها فداء للوطن وانت تقدم روحك لشهوتك.
- " تقلبهاش واعظ ديني وتنكد علي اصلن انا الحق علي الي أجيت عندك".
- كما تشاء يا اخي ولكن غدا ستكون كل اعمالك هباء منثورا وعندما تموت لن ينفعك أي شيء حتى شهوتك فلذة الشهوة تذهب وتبقى

السيئة وفي نهاية المطاف الامر يرجع اليك انا فعلت ما بوسعي وذكرتك بالموت لعلك ترجع الى ربك تائبا مستغفرا واسال الله ان يرجع لك عقلك الذي أفقدته بالمخدرات والمسكرات وكن على يقين ان الله يمهلك للتوبة ولكنه لن ولم يهملك.

- من اين لك بالكلام هذا؟
- كل ذلك حدثنا به الشيخ مصطفى.
- "آه، قولي الشيخ ولكن لا باس فعندما ارتد الى البيت مساء سأقول لك كل ما حدث وستتمنى لو ذهبت معنا، يلا باي ولا اقولك الى اللقاء ".

خرجا وبقيت بمفردي في البيت وبعد ساعة من الزمن جاء ابي بوجه عابس وعينان حمراويتين وتبدو عليه علامات القلق والحيرة فقلت:

- ماذا بك يا ابتِ؟ ما هذه الحالة؟ ماذا جرى؟
- هل تعلم الى اين جدتك واخاك كانوا ذاهبين
- لماذا؟ ماذا جرى لهم
- جاوبني على سؤالي بس.
- الى حفلة.
- هل اخاك ارتد عن الاسلام؟ قل لي وبصراحة.
- بصراحة نعم ارتد. ولكن لماذا؟
- لانهما ماتا هما الاثنين.
- ماذا ؟!، كيف؟
- وهما ذاهبين الظاهر أن اخاك تناول نوع من انواع المخدرات وكانت سرعته جنونية فاصطدمت السيارة بأحد الجدران وماتا على الفور.

لم اعرف ماذا احكي، ماذا أجاوب وبعد لحظات تجمع الجيران والناس وكان على راسهم بابا مصطفى وصديقه سعيد.

جاءت الاسعاف بجسديهما ثم قام المغسل بتغسيلهما ومن ثم حان الوداع فهمست في أذن جدتي قائلا: سامحك الله يا جدتي ماذا فعلت لقد جررت

نفسك الى الهلاك ولم تكتفي بذلك بل وجررت اخي آه لو أنك استقمت على دين الاسلام ولكن ماذا يفيد الندم فلتتحملي الان العذاب.

ومن ثم ذهبت عند جسد أخي وقلت: قلت لي يا اخي الى اللقاء ولكن الارجح انه لا لقاء لنا بعد اليوم كنت قد نصحتك آه لو أنك استمعت لي.

قلت لي ستتمنى ان تكون مكاني وستندم ولكنني لن ولم اتمنى ان اكون مكانك ولا أحد من الحاضرين سيتمنى سوء الخاتمة التي وقعت بها انت وجدتي فلقد اذهبت وأضعت عمرك عبدا للشهوات والان ليس لدي أي شيء لفعله لك ليتك استمعت لي لكنا الان صلينا عليك ولكن الذي لم يصلى في دنياه لا يصلى عليه عندما يموت ويذهب لأخرته ولكنني أشفق عليك فكيف لجسدك ان يتحمل عذاب القبر و يا ويحك ماذا ستقول للملائكة عندما يسألوك عن الصلاة؟ كيف لك أن تتحمل المرور من على الصراط المستقيم والعلم عند الله هل ستسقط في النار أم ماذا سيكون حالك؟ لا أعلم ولكنني أسال الله ان يرزقنا حسن الخاتمة.

🤍 🤍 🤍

(أية)

* الاحد.

* ٢٠١٦/٤/٢٤.

وقفت على النافذة انتظر ان يخرج " فريستي " الى المسجد انتظرت دقائق حتى ظهر وعندما رأيته قلت في نفسي: سأجعل دينك وأخلاقك التي تسمو بها في قاع جهنم فانتظر أيها الحقير....

ثم ارتديت بلوزتي وخرجت أنتظره، مكثت طويلاً في الخارج ولكنه لم يظهر حتى هذه اللحظة فقررت الاقتراب فاذا بشاب تبدو عليه علامات الوقار يخرج من المسجد فقلت في نفسي: هل اترك مصطفى وأطبق

خطتي على ذلك الشاب ولكنني لن اقرر حتى يقترب واعلم من ذاك الشاب وما ان اقترب حتى وجدته مصطفى هو نفسه الشاب الذي اعجبني والذي يخرج من محياه نور الايمان وهذا الشيء جعلني أكثر قوة لأحقق خطتي فاقتربت منه وقلت له:

- أيها الخائن

فقال وبصره معلق في الارض فانا اعرفه جيدا مصطفى الشاب الذي لا يحب النظر للمحرمات لأنه لا يريد ان تكون عينه زانية بالنظر الى الاشياء المحرمة:

- من أنت؟ وماذا تريدين؟
- انا العاشقة لك، أنا من كتمت حبي لك في قلبي ست اعوام وانت لا تشعر بي ارجوك تعال لبيتي ولو مرة واحدة فكل اهلي في المانيا وانا لوحدي في المنزل وان تأبى فتزوجني لأنني لن أترك وشأنك.
- اتقِ الله، واعلمي ان نظر الله اليك أسرع من نظرك الي ألا تخشين الله
- دع عنك هذا انا احبك هل تفهم احبك قلبي يهواك وينفطر من كثرة الشوق. هل لديك احساس بذلك؟
- ابتعدي من طريقي ولا تظهري امامي ثانية هل فهمت؟
- حسنا ولكنني لن اترك هذا الحب يذهب هباء بسببك وبسبب عنادك ايها الواعظ وستفعل هذا رغما عنك ايها المعقد.

(مؤمن)

دخلت البيت فوجدت ابي ينتظرني ومائدة الافطار التي أعدها امامه فاقتربت منه وقال لي بعدما سلمت عليه:

- كيف التحفيظ والحفظ معك يا بني؟
- الحمد لله يا أبتِ فلقد تحولت حياتي الى جنة والى حياة قريبة من حياة الملائكة كل ذلك بفضل الله ثم بفضلك وبفضل الشيخ مصطفى

أتدري يا ابي الشيخ مصطفى يحفظ القرآن بقلبه قبل عقله ويطبقه في حياته انه قرآن يمشي على الارض كم أتمنى ان أصبح مثله.

- ستصبح يا بني ولكن عليك بتقوى الله في جميع احوالك والان أغسل يداك وتعال لنفطر معا وبعدها سآخذك معي الى مركز الشرطة ستحب هذا المجال كثيرا على الرغم من انه متعب.
- ولكنني لن احبه لدرجة حبي لمجال الاسعافات الاولية.
- سنرى ولكن بعدها لن نأتي للبيت سنذهب للمطعم ونتناول غذائنا ومن ثم سنذهب الى أي مكان ترفيهي تريده.
- سلمت يا ابي ولكن انا ارى ان هذا كثير.
- كلا، ليس كثير على ولد بار مثلك، ادامك الله لي.
- وانت يا أبي كذلك ولكن يا ابي هل تسمح لي بأن افاتحك بموضوع ولكنه من المحتمل ان يزعجك.
- يا بني لن يزعجني أي شيء يخرج من فمك يا عزيزي، تكلم.
- أبي لماذا تتعب نفسك بأعمال المنزل وبعدها تتعب نفسك أكثر بعملك لماذا لا تتزوج من فتاة محترمة تعينك على هذه الاعباء الثقيلة؟
- كلا يا بني أنا لا أحب ان اخون أمك حتى وهي تحت التراب.
- حسنا ولكن يا أبي لا يجوز ان تتعب نفسك هكذا ارجوك يا أبتِ.
- مؤمن سنغلق الموضوع هنا وسنقوم بفتحه في يوم اخر لا تزعل يا بني.
- لن أزعل من أغلى أب ولكن فكر مليا يا ابي ولا تستعجل.
- حسنا والان دعنا نكمل إفطارنا.

(مصطفى)

دخلت المنزل ومن ثم توجهت للحديقة عند نبض صامتا واجما فنظرت الي نبض نظرة غريبة تحمل في طياتها الكثير من المعاني وقالت:

- ماذا بك يا حبيبي؟ أرى في عينيك شيء ما يحزنك.
- اليوم حدث معي شيء غريب واحاول تحليله.
- وماذا حدث معك؟
- اليوم وانا راجع الى البيت من صلاة الفجر وقفت في طريقي " اية " ابنة المليونير وقالت لي أنها تحبني منذ ست سنوات ولكنني اكتشفت من خلال حديثها معي انها لا تعرف الكثير عن الاسلام وعن الحلال والحرام فما رأيك ان تذهبي اليها أنت وأنين وتقومان بتفهيمها عن الدين الاسلامي أكثر لعل الله يكتب لها الهداية.
- حسنا والأن سأصعد الى الطابق العلوي لأرى انين وبعدها سأخبرك متى سنذهب.

(نبض)

بدأت بصعود الدرج فوجدت سعيد في طريقي فسألني عن مصطفى وأخبرني بأنه ذاهب اليه وبعدها أكملت صعودي وناديت على أنين فخرجت وقمت بسرد كل ما حدث لها وفي نهاية المطاف قررنا الذهاب لها اليوم بعد صلاة العصر مباشرة.

ومن ثم نزلت الى بيتي واتجهت الى المطبخ لإعداد القهوة السادة لمصطفى وسعيد وعندما انتهيت اتصلت بمصطفى ليأتي ويأخذها.

مرت الدقائق سريعا وارتد خلالها سعيد الى شقته ومن ثم جاءني مصطفى وتغره مبتسم فسألته عن سبب ضحكته فأجابني: ان صديقه سعيد خائف من ان يكون أزعجنا بسكنه عندنا في البيت الذي يتواجد فوق بيتنا

فقلت له:

- وماذا كانت اجابتك؟
- بالطبع ايجابية ووضحت له مشاعرنا تجاههم والحمد لله استطعت اقناعه بان لا يتاجر بيت ولكن الان أخبريني متى ستذهبان؟
- بعد صلاة العصر ان شاء الله.

- ان شاء الله.

(مؤمن)

انسجم أبي بعمله وانا اخذت اتفرس في جميع ما يوجد في مركز الشرطة وفجاءة جاء ابي وقال لي:

- كيف يا مؤمن؟ من أعجبك أكثر؟
- بصراحة أنا اعجبني مجال الشرطة كثيرا.
- على ذلك فقراري كان الاصح عندما اخبرتك انه سيعجبك.
- صحيح يا ابت ولكن قراري في الموضوع الذي تحدثت عنه فسيكون هو الارجح.

صمت ابي برهة ومن ثم اعتدل في وقفته وقال بتردد:

- سأفكر مليا والان دعك من هذا سنذهب للمطعم الان هيا بنا.
- ابي ارجوك اتركني ولو للحظات قليلة
- حسنا ساترك مسافة تشغيلي للسيارة وبعدها ستكون عندي
- حاضر

وبعد دقائق معدودة نادى ابي عليّ فذهبت اليه مسرعا وركبنا السيارة منطلقين الى المطعم وعندما وصلنا قال ابي:

- ماذا تريد ان تتناول يا حبيبي؟
- الذي تريد ان تتناوله سأتناوله معك يا ابي الغالي.

طلب ابي انواع عديدة من السمك فهو يعرف جيدا انني أحب السمك مع العديد من السلطات والمشروبات الغازية.

انتهينا من الغذاء ومن ثم قال لي: سنذهب الان الى البوظة.

- يا ابي هذا كثير.

- لقد قلت لك سابقا ليس كثير.

وذهبنا للبوظة فطلب ابي بوظة لنا نحن الاثنين وبعدما انتهينا من التهامها قال ابي: سنذهب الان الى السوبر ماركت ومن ثم للمنتزه.

وبالفعل ذهبنا للسوبر وقمنا بشراء اشياء عديدة من شبس وعصير ومكسرات.

ومن ثم ذهبنا للمنتزه وبدانا نلعب سويا وكان في المنتزه بركة سباحة فقال ابي بحماسة:

- هيا بنا نتسابق في السباحة.
- ابي نحن لا نملك ملابس سوى التي نرتديها كل الملابس في المنزل.
- لا تقلق لقد قمت بجلب ملابس لي ولك هيا.

نزلت في المياه ففي المرة الاولى لم أكن اجيد السباحة بالشكل المطلوب ففاز ابي وفي المرة الثانية علقت عيناي عليه وبدأت افعل مثلما يفعل ففزت عليه وقلت له بمكر: هذه بتلك.

ضحك ابي وقال:

- أريدك أن تكون رجلاً عقله من يتحكم بأفعاله لا قلبه وتكون صاحب قوة وعزيمة واصرار.
- سأكون كذلك ولكن ما رأيك ان نتسابق في الجري؟
- فليكن مثلما تريد.

وانطلقنا من بركة السباحة للسباق وحددنا خط الانتهاء ولكنني عندما وصلت الخط قلت:

- انا من فاز يا ابي.
- كلا وصلنا نحن الاثنان معا ولكنني سأعتبرك انت الفائز لأنني احبك فانطلقت مسرعا وارتميت في حضن أبي فنظر إلي أبي وكأنه يناجي روحي وقال: هل سُعدت اليوم؟
- وهل من يخرج معك لا يُسعد أدامك الله فوق رأسي يا قلبي.

وانتهت الرحلة وانا اشعر بأنني املك الكون ورافقتني السعادة وأحسست بعدها براحة لا توصف.

(أية)

وقفت على النافذة اتفرس في ملامح الشباب المارين لعلي أجد شابا احبه وأتخلى عن حبي لذلك العنيد حتى جاءت عيناي على امرأتين علمت الاولى من تكون انها " انين" ولكنني لم أستطيع معرفة الاخرى لأنها منتقبه أخذت عيناي لا راديا بمرقبتهما فوجدتهما يقتربان من منزلي فأسرعت لاستطلع إن كان البيت على ما يرام أم لا فوجدت كل شيء مرتب وحتى هذه اللحظة الغرفة تفوح منها رائحة المسك فجلست وعندما سمعت الطرق على الباب قلت وكأنني لا اعلم من الطارق:

- من بالباب؟
- نبض وأنين.

تذكرت عندما سمعت اسم نبض وعرفت وقتها بأنها زوجة الرجل الذي احببته لسنوات فتغير لون وجهي وقمت بفتح الباب ورحبت بهما ببرود وبعدها خاطبت نفسي قائلة: ما الذي جاء بالمتخلفتين إلى هنا وماذا يريدان؟

قطعت شرودي انين وهي تقول:

- كيف حالك يا عزيزتي؟
- بخير وأنتم كيف حالكم؟
- الحمد لله بخير.

ومن ثم بدأتا يذكراني بالله وترهيبي بالموت والنار وترغيبي بالجنة والنعيم المقيم فيها فشعرت وكان هذا الكلام كهرباء يسري في جسدي واصبحت لا أستطيع كتم بكائي ومع كمية الكلام التي تزداد يزاد بكائي على نفسي، على ديني على ما فرطت في جنب الله ومن ثم قلت بصعوبة:

- حقيقة انا لم اسمع بهذا الكلام من قبل ولم أهتم لتلك الأشياء، لقد ايقظتموني قبل أن يأتينِ ملك الموت وانا الان امام الله وامامكم اقسم بالله ان لا أعود لمثل هذه الاشياء وسأرتدي النقاب وأسال الله الكريم رب العرش العظيم أن يثبت قلبي على دينه ولكن الأن هل لي منكم طلب؟

فقالت نبض بفرح:

- تفضلي.
- أريد منك عندما يحين وقت أي عبادة ان تذكريني بها.
- حاضر سأفعل ذلك.

انصرفتا بعد أن قامتا بتنبيهي ومن ثم توجهت إلى " الحمام " وقمت بالاستحمام ونطقت الشهادتان وعزمت على أن أقوم بحفظ القران الكريم.

(نبض)

* السبت.

* ٢٠١٧/١٢/٣٠

كان مصطفى في غرفتنا نائم وانا منشغلة بتحضير طعام الافطار فرن هاتف مصطفى مرارا فاتجهت وايقظته فرد على هاتفه وبعدما انتهى من المكالمة نهض بسرعة وارتدى ملابسه فقلت له:

- ما هذه السرعة يا حبيبي؟
- امي يا نبض عشقي.
- ماذا بها؟
- هي على المعبر الان سأذهب لإحضارها.
- الحمد لله انها جاءت فانا مشتاقة لها كثيرا، رافقتكم السلامة.

(مؤمن)

اتجهت نحو غرفة أبي وقلت بدون مقدمات:

- ماذا يا أبي، لقد مضى كثير من الوقت على الموضوع الذي كلمتك به والى الان لم تقوم بإعطائي أي إجابة.
- يا بني فكرت في ذلك ولكن لا يوجد أي فتاة ستقبل بالزواج مني.
- كلا يا ابتِ، ألف فتاة تتمناك ولكنني انا من سأختارها لك.
- ومن هي التي ستختارها؟
- اية جارتنا الحافظة لكتاب الله المنقبة، وبالطبع هي لن ترفض رجل مثلك صاحب اخلاق رفيعة توكل على الله وجرب يا ابي
- سأجرب يا بني، سأقول للشيخ " مصطفى " وان شاء الله لن يجلب لنا سوى الخير.
- احسنت صنعا يا ابي ولكن يجب ان تتصل عليه حالاً.
- كلا يا بني سنراه في صلاة الظهر.
- ابت خير البر عاجله اتصل الان.
- حاضر يا بني.

اخرج ابي هاتفه وقام بالاتصال على مصطفى وبعد دقائق محدودة انتهى ابي من مكالمته فقلت بسرعة: ماذا قال لك يا أبي؟

- هو الان مرتد الى البيت ومعه امه التي جاءت للمكوث عند سنة واحدة فخجلت ان اتحدث اليه وقلت في نفسي: الان هو مشغول مع امه وعندما نراه في صلاة الظهر نقول له كل شيء وبالتفصيل.
- حسنا يا ابتِ.

ومر الوقت سريعا وجاء موعد صلاة الظهر فتوضئت وخرجت مع ابي الى المسجد وقلبي يحترق شوقا لمعرفة الذي سيحصل. وبعدما انتهينا من الصلاة ذهبنا للشيخ مصطفى ومن ثم سلمنا عليه وبدأ ابي بالحديث وبعدما انتهى ابي من الحديث رأيت علامات الاستبشار فأصبح وجهه وضاح وتغره باسم ومن ثم قال: استبشر خيرا يا مصعب سأبعث أم سلام عليها غداً

- بارك الله فيك وانا اسف جدا على الازعاج.

- لا تقل هذا نحن اخوة.
- جزاك الله كل خير يا أخي.

ومن ثم ذهبنا وانا مرتاح البال وفي الطريق قلت:

- ألم اقل لك يا ابي اعقلها وتوكل.

ضحك أبي وقال وعلامات الارتياح بادية على محياه:

- رحمها الله أمك ربت لي شخص يُعتمد عليه.
- صحيح يا أبي أريد أن أزور ضريح أمي اليوم.
- كلا، سنذهب غدا معا.
- كما تشاء يا عزيزي.

🤍 🤍 🤍

(أية)

* الأحد.

*٣١ /١٢/ ٢٠١٧

جلست على السرير بعدما انتهيت من صلاة العصر ازرع نخيل في الجنة وأرويها بالتوحيد و بعدما انتهيت بدأت اتذكر الايام الشيطانية التي كنت أعيشها والتي كنت أدعي فيها السعادة ولكنني في الحقيقة لم أكن أذق للسعادة والراحة طعما بل كانت أيامي كلها جحيم أما الان فبدأت اشعر بطعم السعادة والراحة الحقيقية واصبحت أحاسب نفسي على كل حركة بل واقوم بوزن الكلام قبل أن أتحدث به بل واقلبه على جميع اشكاله لأتأكد انه لا يوجد به شيء من سخط الله وبعد نصف ساعة تقريبا سمعت صوت طرق على باب منزلي فقلت في نفسي: استر يلي بتستر. ومن ثم فتحت الباب بسرعة فوجدتها نبض فحمدت الله لأنني بحاجة إلى شحنة ايمانية جديدة فرحبت بها وجلسنا.

ساد الصمت ولكنه لم يدم طويلا فقالت نبض بفرح طفولي:

- هل تعرفين مصعب جارنا؟
- أبو مؤمن؟
- نعم هل تعرفينه؟
- بالطبع اعرفه ولكن لماذا؟
- يريد أن يتقدم لكي.
- وهل يعلم أنني كنت متزوجة في ألمانيا؟
- بالتأكيد يعرف كل شيء.
- ولكنني مطلقة.
- وهل المطلقة امرأة سيئة المطلقة غالبا ما تكون امرأة عظيمة اختارت ذلك لكي تعيش بكرامتها والان دعيك من هذا وقولي لي ما هو رأيك؟
- بهذه السرعة؟
- نعم.
- ولكن كيف دينه قبل رأيي.
- لا تقلقي فمن هذه الناحية سيكون سندك ولن تحتاجي لأحد منا.
- حسنا أنا موافقة.

وما أن نطقت جملتي الاخيرة حتى سمعت صوت الزغاريد تملأ البيت وانطلقت نحوي وهي تحتضنني وتبارك لي وبعدها قالت:

- سأذهب حالا يجب أن أعلم مصطفى ليعلم مصعب فجميعهم ينتظرون على أحر من الجمر.

وبالفعل انطلقت في طريقها بعدما جعلت فؤادي يرقص فرحاً.

(مؤمن)

كنت ألعب أنا وأبي في غرفة الاستقبال المفروشة بالسجاد العبقري وبعد لحظات رن هاتف أبي وكان المتصل الشيخ مصطفى وما أن رد عليه أبي حتى قال مصطفى:

- ألف مبارك يا عريس.

وما أن سمعت هذه الكلمات صرخت وقلت:

- بابا عريس يا ناس ألف مليون مبارك يا أبي الغالي.

وترك أبي الهاتف وأمسك بي واحتضنني بقوة حتى أنني كدت أختنق وبقينا فترة من الزمن لدرجة أنه نسي الهاتف ومصطفى فقلت له:

- أبي مصطفى على الهاتف ينتظرك أكمل حديثك معه.
- يا ويحي من كثر الفرحة نسيته.

ورجع أبي إلى الهاتف وأعتذر لمصطفى وكان مصطفى شابا خلوقا فتقبل الأمر وفي نهاية المطاف أنهى أبي مكالمته وبعدها خرجنا وركبنا في السيارة لزيارة ضريح أمي.

وصلنا ضريح أمي وقمنا بقراءة الفاتحة على روحها ومن ثم قام أبي وتوجه عند ضريح أخي وجدتي ليعطيني الفرصة لأحكي لأمي كل ما عندي، بقيت فترة من الزمن ولساني يلهج بالدعاء والاستغفار لها وبعدها توجهت إلى قبر اخي وجدتي وأبي توجه إلى ضريح أمي وسمعته يقول لها:

- سامحيني يا أم مؤمن أنا أحببتك وما زلت أحبك فقد كنت سبب في هدايتي واسال الله ان يغفر لك ويدخلك فسيح جناته.

وبعدها نهضنا والدموع معلقة عيناي كل واحد منا ومن ثم توجهنا للمنزل.

(أية)

* الثلاثاء.

* ٢٠١٨/١/٢.

ذهبنا للمحكمة وقمنا بعمل كل الاجراءات المطلوبة وتمّ العقد ومن ثم توجهنا إلى منزل مصطفى فقد أصر أن يكون الغذاء في بيته.

جلس الرجال مع الرجال والنساء مع النساء وبعد هنيهة سمعت صوت مصطفى وهو ينادي على نبض.

غابت نبض فترة قصيرة ومن ثم رجعت وهي تعتذر عن تأخرها وقالت:

- أريد أن أستشيرك يا أية في موضوع وإذا كنت غير موافقة قولي.
- حسنا.
- ابو مؤمن يريد فترة الخطوبة أن تكون قصيرة.
- ماذا تعنين؟
- أعني أن فترة الخطوبة ستكون فقط اسبوع ولكن هذا الحديث ليس مؤكد فهو ينتظر قرارك.

صمتُ برهة من الزمن مترددة لأنني في الحقيقة لا أحب فترة الخطوبة القصيرة ولكن لا بأس. وبعد هنيهة قالت:

- لماذا صمتي؟ ما هو قرارك؟ موافقة أليس كذلك؟
- نعم.

وانطلقت لتخبرهم بموافقتي وبعدها تناولنا وجبة الغذاء ومن ثم توجه كل واحد منا الى بيته وهو يشعر بالرضى.

(نبض)

* الأحد.

* ٧ /١/٢٠١٨.

جلست انا ومصطفى نتبادل الضحكات ونسرد القصص اللطيفة وبعد فترة تذكرت الأسرى وعلى رأسهم أخي الغالي فقلت بنبرة حزينة وانكسار قلب:

- مصطفى ماذا حدث للجندي المخطوف وصفقة وفاء الاحرار؟
- لا أدري، ولكني سمعت منذ فترة أن هناك تفاوض بين حركة المقاومة الإسلامية حماس وبين الاحتلال الإسرائيلي ولكنه غير مباشر هذا أخر ما سمعت
- آه، اشتقت لأخي كثيرا.

فأمسك مصطفى بيدي وقال وهو يربت عليها:

- لا تخافي سيخرج من سجنه قريباً بإذن الله.
- كم أتمنى ذلك ولكن.
- ولكن ماذا يا حبيبتي؟ هل يليق بنا التشاؤم؟ هل يليق بنا عدم التفاؤل كوني متفائلة يا عزيزتي ارجوك فعندما تكوني مهمومة وحزينة فؤادي يتمزق، عقلي يتشتت، ارجوك كفى فحزنك هو حزني وفرحك هو فرحي.
- أنت كذلك ولكنني أقسم بالذي خلقك فسواك فعدلك أنني أحبك بمقدار لا يستوعبه عقلك أنا أعشق النظر لعينيك لأنني عندما أنظر اليك أشعر وكأنني قمرا وأريد أن استمد من الشمس النور هل تعلم يا مصطفى انا أرى في عينيك كل ما أحب وكل ما اشتهي كل الاخلاق التي تتمتع بها وأرى الحب الساكن في الاعماق أنا تعلقت بك كثيرا ولا أستطيع الابتعاد عنك لذلك أرجوك لا تبتعد عني فبعدك يفطر قلبي ويميتني فلا أحيا إلا عندما أراك.

فقال بمكر:

- وما الإثبات على ذلك؟
- لماذا؟ هل تعتقد أني أكذب؟
- لا ولكنني أريد الدليل.
- وماذا تريد لأثبت لك ذلك.
- أريد "بوسة" وأشار إلى وجنته اليمنى.
- وليكن.

فقمت واعطيته ما يريد ومن ثم طبعت قبلة أخرى على جبهته وقلت "وهذه زيادة البياع ". فقهقه ضاحكا وقال:

- الأن أستطيع أن أثبت النظرية.
- نظرية؟ نظرية ماذا؟
- النظرية التي تقول م+ ن= ح فالميم انا والنون انت والحاء الحب الذي يتغلغل في شغاف قلوبنا.

قطع حديثنا صوت الطرق على الباب فذهب مصطفى ليفتح الباب فوجده سعيد دخل سعيد وهو يضحك ويقول لمصطفى:

- الظاهر أنني قطعت حديثك أنت وزوجتك.
- انت دائما تأتي في الوقت الخاطئ ولكنني سأسلم أمري لله واجلس معك.

فقال سعيد بمكر:

- إذا كنت تريد أن أذهب فلك ذلك.
- لا، لا تذهب.
- ما شاء الله عليك أصيل والله.

ومن ثم جلسا واخذا يتبادلان الحديث حول مواضيع مختلفة.

(أية)

* الثلاثاء.

* ٢٠١٨/٤/١٠.

مرت الأيام سريعا ومر على زواجنا تلاث شهور ولكن الثلاث شهور كنت فيهم من أسعد البشر وكنت كلما ارى علاقة مؤمن بأبيه تزداد فرحتي كثيرا وأحث كلا منهم إلى تحسين العلاقة واعتبرت مؤمن وكأنه ابني، أوفر له كل ما يحتاج ولا أجعله يشعر بأنني اخذت أباه منه ولا أجعله يتيما مرة أخرى فلقد اعتبرني أمه واعتبرته ابني. وما أبهى الأيام حينما تمضي وتكون مفعمة بالحب والحنان والعطف والرحمة.

(مصطفى)

* الخميس.

* ٢٠١٨/١١/٩.

جلست أنا وسعيد في المسجد نخطط ماذا سنفعل فاليوم سيتم مؤمن حفظ كتاب الله كاملا وبعد لحظات قال:

- ما رأيك أن نشتري له هدية؟
- رائع ولكن ما رأيك أن نقوم بعمل حفلة صغيرة له في المسجد؟
- تمام هيا بنا نذهب إلى السوق.

ذهبنا للسوق وقمنا بشراء عدد من "الجاتوهات " والشمع والمشروبات الغازية إضافة إلى هديتين مغلفتين الاولى مني وتحوي بداخلها قران كريم يحيطه مجموعة من الشوكولاتات ومسبحة والثانية من سعيد وتحوي بداخلها ساعة يد.

انتهينا من شراء جميع الاشياء التي تلزمنا وعدنا للمسجد لترتيب جميع الاغراض فبعد صلاة المغرب سيرتل مؤمن آخر صفحة له من سورة الكهف.

بدأنا بترتيب الاغراض وبدأنا بتعليق البالونات ولكننا نسينا شيء مهم لقد نسينا إخبار والده فأخرجت هاتفي واتصلت عليه وقمت بالاتفاق معه ومن ثم قال سعيد:

- كيف ستسير الامور، نحن لا نريد أن نجعله يعلم بهذا الامر وهو على وشك القدوم، ستفسد المفاجأة.
- كلا لن تفسد، ولكن استمع إليّ جيداً انت اهبط للطابق السفلي وخذ كل الطلبة معك وعندما يأتي قل له أنك أنت من سيُسمع له ولا تجعله يصعد للطابق العلوي وبعدما تنتهي من التسميع له تأتي أنت وكل الطلبة وهو معكم وعندما تصعدون الدرج سأجلس على اللاب توب وافتح لكم انشودة " طوبى يا أهل القرآن ".
- فكرة رائعة يا عزيزي.
- كمثل روعتك يا حبيبي والأن أذهب للطابق السفلي ولا تجعل أي أحد يصعد.
- تمام ولكنني ارجوك اعمل كل شيء بذمة وضمير.
- مش وقت المزح يا حلو، هيا اذهب.

-كما تريد، في رعاية الله.

(مؤمن)

انتهيت من حفظ اخر صفحة من سورة الكهف وارتديت ملابسي وأنا فرح جدا لدرجة أن الكون كله لن يتسع لفرحتي فاليوم هو مناي وبعد قليل سأكون من مواكب الحفاظ، آه كم تمنيت هذه اللحظة وكم كنت انتظرها بفارغ الصبر، ليتك على قيد الحياة يا أمي فأمنيتك التي كنت تتمنيها لي منذ طفولتي ستحقق بعد قليل.

انتهيت من ارتداء ملابسي وذهبت إلي غرفة أبي وأمي " أية " فلم أجد أي واحد منهما فسيطر عليّ الحزن والكآبة لأنني كنت أود أن يكونا أول المهنئين لي وخرجت متجها إلى المسجد وفي الطريق رأيت أحد الرجال يبيع ملابس للأطفال الصغار فأخذت اتذكر مَنْ مِن النساء وضعت طفلا فلم أجد إلا زوجة الشيخ مصطفى والتي ستضع طفلها بعد أيام قليلة فقررت شراء ملابس لطفل مصطفى وبعدما انتهيت من شراءها توجهت للمسجد مسرعا فوجدت كل اصدقائي حاضرين ما عدا انا المتأخر فاعتذرت واقتربت من الشيخ سعيد لأرتل ما تبقى وبعدما انتهيت هنأني الشيخ سعيد وجميع اصدقائي وبعدها أردت أن ارتد إلى بيت الشيخ مصطفى لأعطيه الملابس التي قمت بشرائها فامسكوني واقنعوني أن والدي ينتظرني في الطابق العلوي فقلقت وقلت في نفسي أنه من الممكن ماما " آية " قالت لأبي شيئا ما عني وأبي يريد محاسبتي في يومي السعيد هذا.

نهضت لأصعد للطابق العلوي فوجدت أن الشيخ سعيد وجميع الطلبة خلفي فانتابني الفضول، وأنا اصعد سمعت أنشودة " طوبى يا أهل القرآن " وما أن وصلنا حتى رأيت الطابق كله ممتلئ بأصدقائي إضافة إلى أبوي " بابا مصعب وبابا مصطفى " ورأيت العبارات التي كانت تزين الجدران وكان من بينهم " هنيئا لك أيها الحافظ المتميز " و "طوبى لوالديك الكرمين بتاج الوقار ".

دهشت ولكنني في نفس الوقت قلبي ممتلئ فرحا لأن الأشخاص الذين يحبونني جاءوا من أجل تهنئتي يا لها من مفاجأة تُسعد وبعد لحظات غاب أبي فترة قصيرة من الزمن وبعدما ارتد اقترب مني واحتضنني وأهداني تاب واعطاني ٣٠٠ شيكل وقال لي:

- هنيئا لك يا بني ليتني نشأت مثلك يا عزيزي.
- أدامك الله يا حبيبي لا تقلق فتاج الوقار ينتظرك.

ومن ثم جاء " بابا مصطفى " والشيخ سعيد وأعطاني كلا منهما كرتونة مغلفة. وبدأت بتلقي التهاني من أصدقائي وبعد دقائق قال سعيد:

- " شو يا جماعة ما بدكم تتحلوا؟

رد عليه الشيخ مصطفى:

- اقترب يا مؤمن وقطع الجاتوه.
- انتظر لحظة من فضلك.

فانطلقت مسرعا وخررت ساجدا لله سجود الشكر على هذه النعمة العظيمة ومن ثم توجهت وقطعت الجاتوه وأكلت وأكل الجميع ومن ثم أخرجت ملابس الطفل الذي لم يأتي وقلت لمصطفى:

- هذه هدية البيبي إلي في الطريق.
- تسلم يا حبيبي.

انتهت الحفلة وقمنا بتنظيف المسجد وانطلق بعدها كل شخص إلى منزله.

(أية)

دخل مؤمن وأباه البيت فوقفت في طريقهما وأنا غاضبة وقلت لمؤمن:

- أين كنت إلى هذه الساعة؟ أدخل إلى غرفتك ولا تخرج منها هل فهمت؟

صمت مصطفى ولم يجب أما أباه فقد اتفقت معه على أن أفعل ذلك. وأكمل مؤمن طريقه وهو حزين وما ان فتح باب الغرفة حتى صرخ من هول الصدمة فأتجهت إليه أنا وأباه واحتضنته وقلت له:

- سامحني لانني أغضبتك ولكنني لم أجد طريقة أخرى لفعل تلك المفاجأة.
- حبيبتي يا أمي لقد فعلت أنت الاخرى لي مفاجأة وأحضرتي لي كتب ابن القيم رحمه الله التي أحبها كثيرا ولم تكتف بذلك فقد احضرتي لي الباكستاني الذي كنت أطلبه منك وبألحاح.

- سامحني يا بني ولكنني أردت أن أجعلها مفاجأة لك يا عزيزي.

وانتهى اليوم بعدما كان مفعم بالمفاجآت والسعادة إضافة إلى الحب والحنان.

(مصطفى)

* الأحد.

*٢٠١٨/١١/١١.

جلست أنا وأصدقائي وليد وسعيد ومحمد بعد صلاة العشاء نلعب " لعبة الصراحة " وكان دوري أن أسأل وليد وكان وليد ليس ملتزما بالحد المطلوب فهمس سعيد في أذني أن أسأله سؤال محرج فأومأت له موافقا وقلت:

- وليد سأسألك سؤال ولكنني أريد الصراحة.
- تفضل.
- كم مرة أحببت حبا محرماً.

إحمر وجه وليد وفي هذه اللحظة سمعنا صوت مكثف لطائرات الاحتلال فأخرجت السماعة وفتحت على إذاعة الاقصى فوجدتهم يقولون أن حدث أمنيا وقع شرق خانيونس وفي ذلك اللحظة أحسست أنني سأفقد إنسان عظيم وأوقفنا لعبة الصراحة وصمتنا وكانت هذه الأحداث من نصيب وليد الذي قمت بأحراجه ولم يعرف بماذا يجيب وبعد لحظات علمنا خبر استشهاد أمير كتيبتنا " نور الدين بركة " والذي حفظت القرآن الكريم على يده وعلمنا تفاصيل استشهاده وفي الحقيقة تأثرت كثيرا لموته ولكن في نفس اللحظة سينال حتما سلعة الله فهنيا له بالشهادة وظللت أدعو بأن يكون كتابه بيمينه وبأن ييسر الله حسابه ويجعله في عداد المتقين .

(مصطفى)

* الاثنين.

* ٢٠١٨/١١/١٢.

في صباح اليوم التالي ذهبنا للمشفى حتى تلد نبض والحمد لله تمت ولادتها على خير وسلامة فقد جاء الى الحياة وإلى أرض فلسطين بطلا وقررنا تسميته " نور الدين " على إسم الشهيد نور الدين فلا تفرح أيها المحتل صحيح أن نور الدين استشهد ولكن جاء لكم بطلاً أخراسمه نور الدين وسيسير على درب وطريق الشهيد نور الدين بأذن الله.

(نبض)

* الاربعاء.

*٢٠١٨/١١/١٤.

بعدما نام أطفالي جميعهم انطلقت لأجهز باقي الأغراض للمفاجأة التي أعددتها لمصطفى.

جلست انتظره بعدما انتهيت من تحضير الأغراض وبعد فترة قصيرة سمعت صوت طرق على الباب ففتحت فأذا به مصطفى ومعه صندوق من الكرتون مزخرف يعلوه قلب أحمر يزينه حرفه وحرفي فقلت لا ارادیا:

- " كل هذا إلي ".

فأبتسم ابتسامة مشرقة وقال:

- نعم.
- وأنا كمان عاملة إلك مفاجأة.

وأخذت بيده وأدخلته إلى الغرفة وجلس كلا منا وهو ينظر في عيني الاخر وكأننا نودع بعضنا البعض وبعد فترة نهض مصطفى وأيقظ أطفالنا وأعطى لكل واحد منهم هدية ومن ثم قال:

- غدا سنذهب للبحر وسيذهب معنا سعيد وزوجته ومصعب وزوجته.
- وماذا عن أمك؟
- أمي رفضت أن تأتي وقالت أنها ستذهب لزيارة ضريح أبي.
- أدامك الله لنا يا عزيزي.

وبعد لحظات قليلة أخرج مصطفى من جيبه ورقة وكتب عليها شيئا ثم طواها بعناية فائقة فقلت له:

- هل تسمح لي برؤية ما بداخلها؟
- كلا، لا تقومين بفتحها حتى أقول لك.
- حاضر .

ومضت تلك الليلة وقلبي يحترق شوقا لمعرفة ما الذي كُتب فيها.

(مصطفى)

* الخميس.

*٢٠١٨/١١/١٥.

وصلنا البحر الساعة العاشرة صباحاَ وكان البحر شبه خالي فذهب جميع الأطفال سريعا إلى المنتزه الذي يجاور البحر وأخذ كل رجل منا زوجته ليتمشوا معاَعلى شاطئ البحر.

أخذت نبض عشقي وبدأنا نتمشى ونحن نتمشى رأينا كومة من " الزلف " فقررنا أن يذهب كل واحد منا ويكتب " بالزلف " للأخر.

ذهبت إلى الكومة وأخذت الكثير من " الزلف " وقمت برسم قلب يزينه حرفي وحرفها وكتبت تحته " كان لنا نصيب أن نلتقى في الدنيا ... وسيكون لنا بأذن الله نصيب في الأخرة "

زوجك ومحبك مصطفى " أبا سلام".

بحبك يا نبض عشقي.

تحرير ٢٠١٨/١١/١٥ .

وبعدما انتهيت ذهبت لأرى ماذا كتبت لي وهي ذهبت لترى ماذا كتبت لها فوجدتها قد قامت بفعل مثلما فعلت أنا لكنها لم تكتب الكلمات التي كتبتها بل كتبت " أحبك يا قلبي ولكنني أرجوك لا ترتحل " فأبتسمت من كلماتها وشعرت بمدى الحب الدفين الذي تكنه لي ومن ثم جاءت نبض وهي تضحك وتقول :

- لقد أعجبتني الكلمات التي كتبتها وكيفية رسمك.
- ولكن في نهاية المطاف كلمات من أجمل.
- بالطبع كلماتك أجمل، كل شيء منك جميل يا حبيبي.
- شكرا للطفك.

وبعد دقائق قليلة أرتفع صوت أذان الظهر فقمت بجمع جميع الرجال بما فيهم مؤمن وسلام وذهبنا للمسجد.

وبعدما انتهينا من الصلاة عدنا للبحر وجهزنا جميع الأغراض التي سنقوم باستخدامها في الشوي وبدأنا بشوي الدجاج والسمك.

مر الوقت سريعا وشارفت الشمس على الغروب فقررنا أن نرتد إلى بيوتنا قبل أن يحل الظلام.

وصلنا البيت وذهبت سريعا لأجهز نفسي للصلاة وبعدما انتهيت من تجهيز نفسي قلت لنبض:

- سأذهب الأن للمسجد ومن ثم سأعتكف ما بين المغرب والعشاء وبعد صلاة العشاء سأذهب لمنزل صديقي محمد مع أصدقائي وليد وسعيد .
- في رعاية الله ولكن لا تنسى أن تدعو لي في صلاتك.
- حاضر، لا إله إلا الله.
- محمد رسول الله.

(سعيد)

* الجمعة.

* ٢٠١٨/١١/١٦.

اتجهت إلى هاتفي قبل أذان الفجر بنصف ساعة تقريبا وبعثت لمصطفى مسج " السلام عليكم ... كيف حالك يا حبي... هل ستأتي اليوم معي على مسيرات العودة ؟".

وبعد لحظات جاءني رده " سأتي معك في الغالب إن شاء الله " فبعثت له ثانية " كن على أتم إستعداد خمس دقائق وسأنزل لك ". فرد علي بالمسج الأتي " أهلا وسهلا ولكنني سأذهب الأن لأكمل إرتداء ملابسي ..في رعاية الله ".

نزلت إلى مصطفى ومن ثم توجهنا إلى مسيرات العودة بعدما انتهينا من صلاة العصر.

وفي طريقنا قال لي مصطفى :

- هل تعلم يا سعيد؟ أنا حي ولكن قلبي معلق بالسماء أعيش أيامي وأملي بالشهادة فهي موتة واحدة فقط وأخشى أن لاتكون خاتمتها شهادة.
- ما هذا الحديث يا أخي؟ لاتقول هكذا فأنا محتاج إليك فأنا لا أستطيع أن أعيش بدون تؤامي سيبك من هالحكي وخليني أحكيلك هالنكتة " مرة سألوا واحد محشش ايش الفرق بين مصباح علاء الدين ومكياج المرأة فقال كلاهما عند فركهما يظهر لك عفريت.

فقال مصطفى وهو يضحك:

- عفريت في عينك.
- مش عاجباك؟

- لا عجباني.
- آه صحيح ما هذه الملابس الجميلة ؟
- حلوة؟
- نعم كم هي رائعة.
- هي لك بعدما نرجع إلى البيت.
- كلا ستبقى لك يا حبيبي والأن يكفينا ما تحدثنا به ولنلحق بمجموعة الشبان الثائر.
- هيا بنا ولكنني كم أتمنى أن أستشهد وأدخل الجنة مع أنني لا استحقها الأن فلعلي أدخلها برحمة الله سبحانه وتعالى لا بفضائل عملي.
- دعك من هذا ودعنا نتقدم باتجاه السلك .

تقدمنا من السلك الجائر أكثر وكان أحد الشبان قد تقدم وبدا بقص السلك وبعد لحظات قنصه أحد جنود الاحتلال ولا أحد استطاع التقدم لجلبه فتقدم مصطفى لجلبه فقُنص هو الأخر وهو حامل الجريح.

اتت سيارة الاسعاف سريعا وقامت بأخذهم إلى مشفى " الشفا " وفي المشفى جلست في الخارج بانكسار قلب فلقد كنت قبل لحظات قليلة أتحدث وأمرح معه والأن لا أستطيع حتى أن أراه وبعد دقائق معدودة جاء الطبيب وأخبرني أن مصطفى يريد رؤيتي فانطلقت مسرعا إلى غرفته ووقفت عنده فأخذ يتكلم بصعوبة فشعرت حينها وكأنه يريد أن يودعني فلم أتمالك نفسي فاقتربت منه واحتضنته وقمت بطبع قبلاتي على وجنتيه ومن ثم قال لي أنه يريد أن يرى أمه زوجته وابنائه فتناولت هاتفي بسرعة وقمت بالاتصال على زوجته وأخبرتها بكل ما حدث.

(نبض)

جاءت عمتي وارتديت ملابسي ولبست أطفالي وانطلقنا مسرعين وعندما وصلنا كان عنده سعيد وبعدما رأى معشوقي أمه وأطفاله وبعد حرب من الحزن خرجت عمتي وأطفالنا وسعيد وبقيت بمفردي فقال مصطفى بمشقة

- أحبك يا نبض عشقي.
- وأنا كذلك.
- نبض هل تذكرين ماذا قلتِ لي عندما كنت ارتدي ملابسي لقد قلتِ لي " لبست جديدا وعشت حميدا ومت شهيدا " فها قد تحقق أول اثنتين والأخيرة ستتحقق الأن فأرجوكِ سامحيني إن كنت قد قصرت في حقكِ.
- استحلفك بالله لا تقل هذا، وأرجوك لا ترتحل فأجب طلبي أليس المحب لمن يحب مجيب!
- صحيح.
- ولماذا تريد أن ترحل هل انت تكره حبي؟
- كلا، أنا ما جفوت ودادكِ بل ربي إلى الفردوس قد ناداني والأن اسمعيني جيدا تتذكرين أمر الورقة؟
- نعم أذكرها جيدا.
- افتحيها عندما تخرج روحي من جسدي ونفذي وصيتي الاخيرة الموجودة فيها وأرجوكِ اصنعي من أطفالنا جيل محرر مؤمن متوضأ لايعرف طريقا للذل ولا الهزيمة ولاتنسيني من صالح دعاءكِ.
- مصطفى عمرك هو عمري وموتك هو موتي أرجوك لا تقل هكذا فبتأكيد لن يكون هذا أخر لقاء لنا سيكون لنا لقاءات أخرى.
- كلا لن يكون لنا أى لقاء أخر بعد الأن اللقاء سيكون بإذن الله في الجنة.

ثم تلا قوله تعالى " تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين " القصص (٨٣).

ومن ثم خرجت روحه لباريها ليحلق في السماء مع أخوانه الشهداء ويزف جسده الطاهر على الأنشودة التي عشقها والتي وصى في الورقة أن يزف عليها انشودة " قمري الشهيد".

تمت بحمد الله.